وزارة الثقافة
الهيئة العامة السورية للكتاب

تاريخ جبلة وآثارها



إبراهيم يونس خيربك

تاريخ جبلـة وآثارها

تصميم الغلاف
أحمد يزبك

إبراهيم يونس خيربك

تاريخ جبلـة وآثارهـا

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب
وزارة الثقافة – دمشق ٢٠١٤م

تاريخ جبلة وآثارها / إبراهيم يونس خير بك.- دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠١٤ .- ٢٠٨ ص: مص ؛ ٢٤ سم.

١- ٩٥٦,١٥١ خ ي ر ت ٢- ٩٣٠,١ خ ي ر ت ٣- العنوان
٤- خير بك

مكتبة الأسد

مقدمـة

عريقـة أنـت أيتهـا الحجـارة عراقـة الزمان،عظيمـة كيـف تنطقـين وأنت صامتة، كيف تعلّمين وأنـت جدَّةٌ قديمةٌ لم تتعلَّم يومـاً، ساعدينـا أيتهـا الحجـارة القديمـة لنكتـب منـك تاريخـاً لأمتنا،فأنت فخرنا وتراثنا. منك يستمدُّ الزمان الماضي والحاضر والآتِ كلَّ معانيـه، نحـن أبناء هذه الأرض العظيمة، ولابدَّ لنا أن نصـون ما أعطتنا من تراث عظيـم ونادر من حيوات كاملة مرَّت فـوق أراضيها لنكون امتداداً لماضينا بفكرنا وعملنا وعاداتنا وكلِّ مـا فينـا. نحن مسؤولون عن حفظ مـا توارثناه وتخليده ليبقى معينـاً لأبنائنـا، ومن هنا وجـدت أنَّه من واجبـي كرجل يعمل في الآثار أن يدوّن ما وجده بكلّ أمانة ومحبة، حيث إنَّ مدينة جبلة كغيرهـا مـن المـدن السوريـة تزخـر بالعديد مـن المواقـع الغنية المتنوّعـة، فيها نجد الجوامع والحمَّامـات التي تتحدَّث عن حياة النـاس اليوميـة ومناسباتهـم الحزينـة والمفرحة، وفيهـا المدافن التـي تخبرنـا كيـف كـرّم الأقدمـون موتاهـم وفكَّـروا في دفنهم،

والعديـد من التلال التـي عاش فيها الناس واجتمعوا ومارسوا طقوسهـم ودياناتهم وعاداتهم وتجارتهـم وثقافاتهم، فاحتاجوا مـن أجل ذلـك البيت والمينـاء والمسرح والحمَّام والجامـع، كما أنَّ لـكلِّ زمان مفكريه علينا ألاَّ نغفل دور الأشخاص الذين كان لهم أثر في نشر الفكر والثقافة على مرِّ العصور في هذه المدينة. وكما أنَّ الكلام يوثَّق بالمخطَّطات والصور فقد وجدت أنَّه من الواجب حفظ هذه المخطَّطات لتكون شاهداً على كلِّ ما نقول.

والله ولي التوفيق

إبراهيم يونس خيربك

جبلةُ السلطان

الشاعر: جابر خليل

- أجبلةُ - هل لي في رياضك مَربَعُ ... لأنهلَ شعراً من رُباك وأُقلعُ
رَويتِ خيالَ الشعرِ أعذبَ نشوةٍ ... فلولاك لا يسمو الخيالُ ويبدعُ
إذا الغصنُ مالتْ لليباسِ فُرُوعُه ... وشفَّ الهوى من راحتيك سَيفرعُ
فما أنت إلا كالزهورِ بشاشةً ... ورياكِ أبقى من شذاهَا وأضوَعُ
أيا - جَبْلُ - فاضتَ بالحنينِ جوانحي ... وقلبي يشدُّ (الجنحَ) دوماً فيسرعُ
قصدتُ الورودَ الزاكياتِ أشمُّها ... وأقطفُ عقداً للحسانِ وأصنَعُ
غَدوتُ كعصفورٍ تبلَّلَ ريشُهُ ... فطارَ لدوحٍ يستظلُ ويَهجَعُ
مررتُ على (الشطِّ) الجميلِ فقادني ... شراعٌ يلمُّ العاشقينَ ويشرُعُ
يراقصُ موجَ البحرِ حيناً وتارةً ... يعودُ (لسلطانٍ) يَهابُ ويَخشعُ
- بجبلة - إيمان وعشق كما ترى ... وكلٌّ يلمُّ المكرمات ويجمعُ
توجّهتُ أبغي المكرُماتِ بأرضها ... فمن شاءَ أمراً للمراجع يَرجعُ
فلولاك - جَبْلُ - البدرُ ما هلَّ كاملاً ... ولا قمرٌ لولا سماؤك يَسطَعُ
مَررتُ مرورَ العابرينَ بلا هوىً ... وعُدتُ بقلبٍ هائمٍ يتقطَّعُ
هويتكِ لكن رغمَ عِشقكِ راحلٌ ... فطبعُ الهوى يعطي زمانٌ ويمنعُ

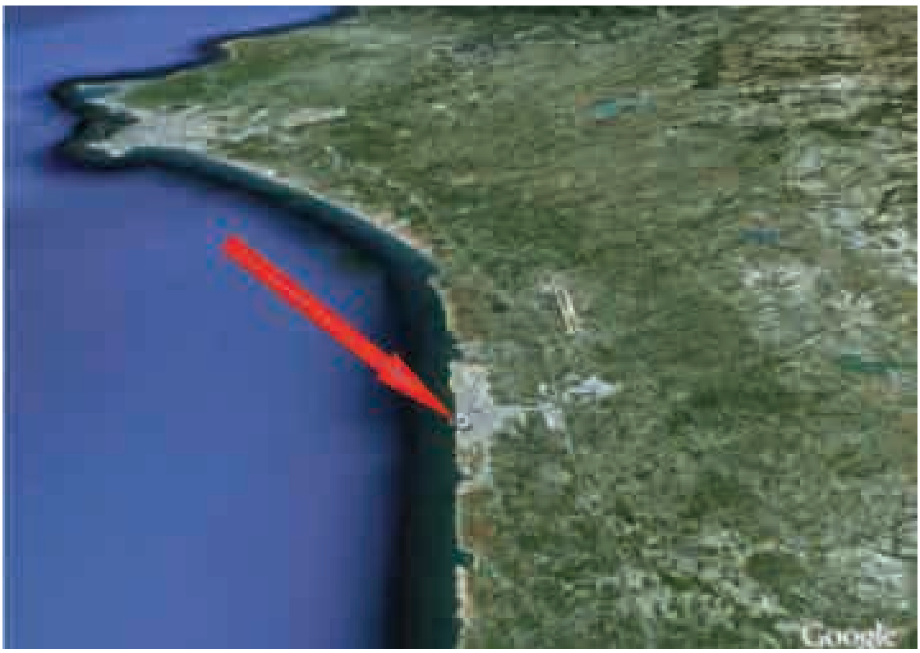
«أمتنا حيّة ولا يمكن أن تموت ولا يمكن أن تزول، ولا يمكن لأيّ تبدلات عالمية أو دولية أن تمحو هذه الأمة وتراثها وما تحمله من كل المعاني وكل القيم ».

القائد الخالد حافظ الأسد





خريطة الجمهورية العربية السورية



صورة جوية لساحل محافظة اللاذقية



خريطة المواقع الأثرية في منطقة جبلة



صورة جوية لمدينة جبلة

لمحة عامة عن منطقة جبلة

- الاسم وأصل التسمية:

حافظت جبلة على اسمها المشرقي الأصيل مع بعض التحريف البسيط منذ نيف وثلاثة آلاف عام. فقد ذكرتها النصوص الأوغاريتية باسم « جبعلا»، ولربما عنى اسمها « الجبّ العالي « أو « البئر العميقة « نظراً لما هو معروف عنها من انخفاض سوية الوسادة المائية تحتها وعمق آبارها.

أما في العصور الهلينستية، والرومانية ثم البيزنطية، أصبح اسمها يلفظ على شكل «غابالا « لانعدام حرف العين في اللغتين اليونانية واللاتينية. أي إنَّ اسمها بقي على حاله مع اختلاف في طريقة اللفظ فقط . أما الاسم الآخر لجبلة والذي تنسبه المصادر إلى رسائل العمارنة المصرية فهو « كورنا»، فإننا لم نتمكن من التأكد من صحة مماهاة هذا الاسم بجبلة أم بغيرها. أما الفرنجة فقد غيَّروا اسمها إلى « زبيل» إلى أن عادت واستردت اسمها الأصيل نفسه بعد الفتح الإسلامي لتستقرَّ عليه إلى اليوم.

ويرد اسمها في السريانية باسم (جبلا) وفي اليونانية بشكل (Gabala) مما يشير إلى أن نهاية التأنيث في العربية ليست من أصل الاسم وإنما حلَّت محل الألف والأرجح أن التسمية كنعانية الأصل لأن لفظ (جبل) تعني في لهجة أوغاريت الجبل الصخري والحدود. وقد تكون مؤلفة من مقطعين (جب + إيل) وجب بالجيم المصرية تعني البيت أو المقام وبذلك يصبح معناها (بيت إيل – مقام الإله إيل)

ويـرى المطران حنا أنهـا سريانية وتعني الجبالين. جبلـى جمع جابالا: أي العجَّان أو الجبّال وربما الخزّاف.

معلومات عامة جغرافية ومناخية وجيولوجية :

مساحـة المنطقـة ٦٠٠ كم٢ ومركزها مدينة جبلـة وموقعها الجغرافي على بعـد ٣٠ كم إلى الجنوب من مدينة اللاذقية على شاطئ البحر الأبيض المتوسط، تحدُّهـا شمالاً مدينـة اللاذقية وغربـاً البحر الأبيض المتوسـط وشرقاً الجبال الساحلية وجنوباً محافظة طرطوس.

تمتد على٢١ , ٣٥ درجـة من خط العرض الشمالي و٣٧ , ٣٣درجة من خط الطـول الشرقي، وهي مبنية على مرتفـع صخري يصل البحر بسهل رحب يقع في جنـوب اللاذقية وإلى الغرب من الطريق الدوليـة دمشق- اللاذقية مسافة واحد كـم، ويمتد هذا السهـل الرائع الجميل ذو التربة الخصبة بـين مصب نهر السن جنوباً ومجرى نهر الصنوبر شمالاً بعرض١٠ كم وبطول حوالي٢٥ كم.

المناخ، المياه، الزلازل، الجيولوجيا، التربة،

المناخ: تنتمي مدينة جبلة لإقليم الساحل السوري الذي يميزه المناخ المعتدل، فشتاؤه لطيف البرودة وصيفه معتدل الحرارة نسبياً، لكن تصل الرطوبة النسبية ضمنـه إلى أقصى درجاتها أيام الصيف، ويمتاز هـذا الإقليم بفصلين انتقاليين قصيرين هما الربيـع والخريف. كما تكون الفروقات الحرارية قليلة بين الصيف والشتاء والليل والنهار.

الميـاه: ترتفع المدينة عن مستوى البحر بما لا يقل عن (١٠ م) وقد امتازت على مرِّ العصور بآبارها الغنية، كما تمتاز بينابيعها الغنية بالماء الصافي المنبجسة في أشهـر الربيـع، كما تعتبر بحيرة السن مصدر ماء شـرب المدينة، ويغذّي ريف المدينـة القريب ينابيع كثيرة العدد منها نبـع الفوار ونبع الدبس وعدد من الأنهار منها نهر الرميلة ونهر أم برغل..... وغيرها.

الـزلازل: تقع مدينة جبلة ضمن منطقــة جيولوجية اشتهرت عبر تاريخها بتعرضهــا لزلازل كان بعضها قوياً وبعضها الآخــر لا يعدو كونه هزة أرضية، ففي عام ٤٧٦ م ضرب زلزال قوي مدينة جبلة ودمَّر مبانيها وكادت تمحى من الوجود، حيث أعيد إنشاؤها من جديد في أواسط القرن السادس الميلادي.

لم تستقــر المنطقة مدة طويلة من الزمن إذ ضربها زلزال آخر سنة ٨٥٩ م ليأتي على الكثير من ملامحها وعمارتها.

وقد تبع ذلك زلزال عام ١١٥٧ م المدمر الشهير الذي ضرب سورية بكاملها في ٢٩ حزيــران، لم تسلــم منه مدن الساحل السوري ومــن بينها جبلة أيضاً. وقد تبعــه زلزالان آخــران سنة ١٧٩٦ م وسنــة ١٨٢٢ م، خسرت المدينــة على إثرهما الكثير من ملامحها.

التربــة: تمتاز مدينة جبلــة باحتوائها ترب متنوعة من الصخرية القاسية الجيــدة للتأسيــس إلى الكلسية الفقيرة مروراً بالتربــة الزراعية الجيدة الملائمة لزراعــة مختلف المحاصيل من الحمضيات والزيتــون والقطن والدخان والأشجار المثمــرة المتنوعة. وقد تمَّ تنفيذ بناء المــدرج الروماني على منطقة صخرية قاسية ذات قدرة تحمُّــل عالية لا تحتاج إلى أعماق زائدة للتأسيس. ويلاحظ أن تأسيس المــدرج ومنســوب الدخول إليه هو منســوب ينخفض عن منســوب المدينة الحالي بعمــق لا يقل عن (٥ م) وفي هذا دلالة على أن بناء المدينة كان وفق ذلك المنسوب إلا أنهــا ارتفعت مسافــة ٥ م مع التغييرات الجيولوجية الطارئــة التي أفضت إلى تجمّع ردميات رفعت منسوب المدينة أكثر فأكثر.

معلومات عامة إدارية وسكانية وثقافية :

التقسيمات الإدارية: تتبع جبلة إدارياً لمحافظة اللاذقية وهي مركز منطقة تتبع لها عدة نواح أهمها القطيلبية – الدالية – عين الشرقية – بيت ياشوط – عين شقــاق ومن أهــمٍ قراها بستان الباشا – قرفيص – الحويــز – السخابة – العقيبة – القبــو – البرجان – حمام القراحلة – حميميــم – ديروتان – سيانو – سوكاس – رأس العين – غنيري – البودي – الشراشير.

السكان: بلـغ عدد السكان المسجلين في مدينة جبلـة عام ٢٠٠٥ : ٩٨,٢٥٢ نسمـة إلا أن العـدد الحقيقـي للسـكان يتجـاوز هـذا الرقـم ليصل تقديـراً إلى ١٤٥,٠٠٠ نسمـة وبلغ عدد إجمالي السـكان في منطقة جبلة عام :٢٠٠٥ نحو ربع مليون نسمة.

الحيـاة الاقتصاديـة : سهل جبلة غني عن التعريف فهو من أفضل المناطق الزراعيـة في سوريا، دائم الخضرة على مدى العـام، يشتهر بزراعة الحمضيات بالدرجة الأولى ومـن ثم الزيتون والخضار الباكورية إضافة إلى الزراعة المحمية في البيـوت البلاستيكية كما يشتهر بزراعة التبغ والتنبـاك، وحديثاً أدخلت إليها زراعات حديثة مثل الأفوكادو والزهور.

ومـن الحـرف التقليدية القديمة التـي تشتهر جبلة بهـا صناعة السكاكين والصابون وبناء مراكب الصيد، بالإضافة إلى صناعة الحلويات وأشهرها الكنافة الجبلاوية المشهورة في الساحل السوري.

وتضـم جبلة مجموعة من المنشآت الصناعية المعتمدة على الناتج الزراعي للمدينة نذكر منها معامل الكونسروة والمياه الغازية والتبغ والغزل والنسيج.

كمـا تعتـبر جبلة سوقاً تجارية هامـة، حيث تتنوع بضائعهـا المختلفة سواء المصنعـة محليـاً أم المستـوردة، ولا تزال أسواقهـا الشعبية تتمتـع بنفس الأجواء والتنـوع الـذي حافظـت عليه منذ بدايـة القـرن العشرين. فهناك سـوق للذهب والخضار والسمك، وتجمُّع للخياطين واللحَّامين وتجار الأقمشة، والبهارات وظلت هذه الظاهرة موجودة حتى في أسواق المدينة الحديثة.

ويعمل قسم مهمٌّ من أبنائها بصيد السمك، وفيها مؤسسة عامة للأسماك تابعة للدولة تقوم بتربية الأسماك النهرية وبالصيد البحري. وفيها مركز للبحوث الزراعيـة، ومن أهم أشجارهـا الحراجية السنديان والشيـح والصنوبر. وقد تم تشجير قسم من هذه الجبال في بيت عانا والحوران وكفردبيل، ومن أهم غاباتها الطبيعية بشيلي والمنطقة الواقعة على طريق جبلة – الغاب.

المواصلات: ترتبط المدينة مع باقي المدن الأخرى بشبكة مواصلات ممتازة تؤمن لها الاتصال مع المدن المجاورة ومع القرى التابعة لها، كما تحوي المدينة ميناء بحرياً صغيراً يؤمّن النقل والملاحة البحرية، ومطار الشهيد باسل الأسد الدولي للنقل والملاحة الجوية.

الحياة الثقافية والفنية: للمدينة نشاط ثقافي متميّز، حيث يقام فيها العديد من المهرجانات الفنية والمناسبات والمعارض الدورية في كل عام، نذكر منها: مهرجان طريق الحرير، ومهرجان المحبة، ومهرجان جبلة الثقافي، ومعارض متنوّعة للكتاب العربي، ومعارض للفن التشكيلي على مدرجات المسرح الروماني، وندوات ومحاضرات في المراكز الثقافية المنتشرة في جبلة وريفها، مثل: مركز بيت ياشوط والدالية وعين الشرقية والقطيلبية.



صورة العيد في جبلة عام ١٩٤٠ أمام جامع السلطان إبراهيم



رقصة الدبكة يؤديها شبان وشابات من جبلة
يعرضون فنهم الشعبي في المناسبات عام ١٩٦٠

لمحة عامة عن تاريخ مدينة جبلة

الفترة القديمة :

جبلـة قديمـة قدم الدهـر، وكانت تعرف باسـم (كابـالا)، والأرجح أنها فينيقية إن لم تكن أقدم من ذلك لأن المتتبع لتاريخها يشعر بأنها قديمة جداً. وقد جاء ذكرها في آثار (أوغاريت) رأس شمرا.

خضعـت لفتح الآشوريين زمناً طويلاً كبقية البلـدان السورية، ثم أصبحت تابعة لمملكة أرواد الفينيقية، وشاركتها في كل شيء من حروب وتجارة بحرية وغير ذلـك، لأنها كانت جـزءاً من بالتوس، والاسم إغريقي - ومـن راميتا أي لاوديسة أو اللاذقيـة. وتشـكل معهما قطـراً واسعاً يمتد مـن جنوبي بانياسـ حتى شمال اللاذقية.

وقد دعا المصريون – زمن الفراعنة – هذا القطر باسم بلاد زاهي وذلك عام ٢٥٠٠ ق.م . واستناداً إلى هـذا التاريخ، تكون أقدم من حكم الملك البابلي الأكَّادي (حمورابـي) الذي حكم بـلاد ما بين النهرين وسوريا مـن ١٧٩٢–١٧٥٠ ق.م، ولم يكن مركزها هاماً في ذلك الوقت، بل كانت مرفأً صغيراً لمملكة سيانو Syannou– (وسيانـو الآن قرية صغيرة تقع شرقي جبلـة، وتبعد عنها سبعة كيلو مترات، ويعثر أهلوها عند الحراثة على أثريات من نقود وفخار)، وقد رأت فجر التاريخ وما لبثت أن قامت مملكة لها وجودها وقيمتها و ضمَّت هذه المملكة جبلة وتل سوكاس.

الفترة اليونانية :

في القـرن الخامس قبل الميـلاد أصبحت جبلة مستعمـرة يونانية، وقد مرَّ فيهـا الإسكندر المقـدوني –الإمبراطور العظيم – في اليوم التـالي لمعركة إيسوس عـام ٣٣٣ ق.م التي نشبـت بينه وبين الفرس وأخضعها كمـا أخضع الشرق حتى الحدود الصينية.

وفي عهـد السلوقيين أضحت جزءاً مـن الدولة السلوقية – نسبة إلى القائد اليوناني سلوقس نيكاتور.

الفترة الرومانية

عندمـا جاء (بومبيوس) القائد الروماني الشهير والذي أصبح إمبراطوراً للدولة الرومانية عام ٦٤ ق.م أصبحت هذه المدينة رومانية وكسبت بعض الشهرة، وأولتهـا روما العاصمة بعض العناية، ولذا نرى فيها آثاراً رومانية تشهد على أنها كانـت زاهرة في ذلـك العهد، فأقيم فيها المسرح الرومـاني الذي يعتبر الثاني في سوريا بعد مدرج بصرى.

الفترة البيزنطية :

في عـام ٣٩٥م أصبحـت تحت الحكـم البيزنطي،وفي عـام ٤٧٦ م داهمها زلـزال رهيب دمَّرها فهـرب السكان والتجؤوا إلى القرى المجـاورة ولكنهم عادوا

وجـددوا ما دُمِّر ورمَّموا ما تهدَّم من أبنيتهـا، وفي منتصف القرن السادس، قام الملـك جوستينيان بإعادة بناء المدينة وترميمهـا. ولم تلبث طويلاً حتى استعادت نشاطها التجاري والزراعي. وانفصلت مع إقليم (تيودورا) الذي كان مشكلاً من (لاوديسةوبالتوسـ وبالاني) عن أنطاكية سنة ٥٢٨ م، وأصبحت أسقفيتها تابعة لمتروبوليت (أسقفية تيودورا) التي كان مركزها في اللاذقية.

الفترة الإسلامية :

كانـت جبلة تابعـة للاذقية حتى جاء الفتح الإسلامـي، فسيَّر القائد العام للجيوشـ العربية أبو عبيدة عامر بن الجراح، بعد أن فتح دمشق وحمص وغيرها من بـلاد الشام، زمن الخليفة عمر بن الخطاب، عبـادة بن الصامت الأنصاري مـن اللاذقيـة عام ٦٨٧ م الموافـق ١٧ للهجرة، فجاء إلى مدينـة (بلِّدة) الواقعة علـى فرسخين من جبلة ففتحها واتجه عبادة بعد ذلك إلى جبلة فألقت مصيرها بـين يديه ففتحها سلماً لا حرباً وأمَّن أهلها، ولكنـه دمَّر مدرجها لأن الروم كانوا اتخذوا منه حصناً ومنطلقاً لهم.

وهكـذا أصبحت جبلة مدينـة مسلمة، فأقيمت فيها المساجـد والمآذن، ولما استتـبَّ الأمر لمعاوية – الخليفـة الأموي – أمر بتجديد المـدرج وترميم ما تخرَّب منه، وبنى خارجه قلعة منيعة زوَّدها بالرجال والعتاد .

وتعايشـ المسلـم والمسيحي زمناً طويلاً، ثم زالت الدولـة الأموية وقام على أنقاضها الحكم العباسي فتبعت جبلة بغداد مركز الخلافة وأصبحت دمشق مقر الأمير أي الوالي.

وفي العهد العباسي أثناء خلافة أبي جعفر المنصور بُني فيها الجامع المدفون إلى جنبه إبراهيم بن أدهم أحد الأولياء الصوفيين، أمير بلخ الفارسية.

وتبعـت جبلة ولايـة حمص حوالي عـام ٨٦٤ م وكانت هـذه الولاية تشتمل الساحل الفينيقي وإقليم أبّاميا « أفاميا »، ثم أصبحت تابعة لحلب، أي غدت جزءاً مـن إمـارة سيف الدولة علي بن حمـدان العدوي التغلبـي، الباسطة نفوذها على شمالي سورية والساحل وحمص حتى حدود دمشق.

كانت هذه الدولة الصغيرة تقارع العرب الثائرين من القبائل والإخشيديين، ولا سيَّما الروم الذين كانوا يهاجمون سورية لاسترجاعها إلى سلطتهم، فوقفت هذه الدويلة سداً منيعاً وصمدت بوجه إمبراطوريتهم رغم ضعفها وقوتهم، ولم تستطع دولة بيزنطية أن تحتل شبراً واحداً من الساحل.

وشاركت جبلة في نضال سيف الدولة اشتراكاً فعالاً، فقدَّمت كلَّ إمكانياتها من رجال وعتاد، واستشهد الكثير منهم في هذه الحروب الطاحنة.

وبعد وفاة سيف الدولة دبَّ الضعف والانشقاق في الدولة الحمدانية وتفاقم النزاع الداخلي. وقد أثَّر هذا النزاع تأثيراً خطيراً، إذ فسدت الحياة وتفشَّت الاضطرابات، ولكنَّ جبلة ظلَّت على هدوئها وأعمالها.

وكان العدو الرومي بالمرصاد وعيونه تراقب كلَّ حركة وسكنة في البلاد، وأخيراً انتهز (نقفور) عدو سيف الدولة وقائد الروم الأكبر –وأصبح إمبراطوراً– هذه الفرصة السانحة عام ٩٦٨ م فأغار على بلاد الشام، ولم يمنعه أو يقف في وجهه أحد فهاجم معرَّة النعمان وكفر طاب وشيزر، وأحرق مسجدها ثم استولى على حماة وحمص وأحرقهما، وبعد أن عاث فساداً في حوض نهر العاصي وصل إلى الساحل واستباح جبلة وانطرطوس « طرطوس» وعرقة القريبة من طرابلس. ولكن هذا الاستيلاء لم يدم طويلاً، فقامت الثورات في كل مكان، وأعلنتها جبلة وضواحيها، فجاء يوحنا بن تزِيميس المعروف بابن الشمشقيق خلف نقفور ليوطّد الأمن في الساحل، فأخضع بيروت وجبيل وعرقة وطرابلس وطرطوس وجبلة واللاذقية، ولكن الثورات ظلت متواصلة ولم يهنأ للروم عيشٌ.

وفي عام ٩٩٢ م كاد الزلزال الهائل أن يمحو مدينة جبلة من عالم الوجود، فتهدَّمت الدور وغاصت الأبنية ومات أناس كثيرون تحت الأنقاض، ولكن أعيد بناء المدينة.

عادت جبلة إلى الأسرة الإسلامية بعد حياة كلها شقاء ودم، وفاز القاضي ابن خليعة بجميع ما خلفه الروم من المال، وظلت جبلة في أنعم حال حتى الغزو الصليبي.

هاجم الغرب المشرق وتطوَّع العدد الكثير من ملوك أوربا وأمرائها ورهبانها، وهكذا بدأت الحروب الصليبية، فاحتلَّ هؤلاء أنطاكية بعد حصار طويل دام، وقد اختار بعض القادة وعلى رأسهم « ريموند دي صنجيل « الاتجاه إلى الشمال الغربي، أي احتلال الشريط الساحلي، ليؤمنوا اتصالهم بالغرب «أوربا « لمدِّهم بالرجال والعتاد، و ذلك بعد أن استولوا على معرَّة النعمان وقتلوا أهلها وهدموا مساجدها، و هاجموا جبلة التي كانت تابعة لصاحب طرابلس «جلال الملك أبي الحسن علي بن محمد بن عمار المتوفى سنة ١٠٩٩، والذي خلفه أخوه أبو علي فخر الملك.

كان ملك بني عمار يشمل الساحل السوري كلَّه حتى بيروت، أي من شمال اللاذقية حتى أبعد من جبيل، وامتدَّ نفوذهم إلى فلسطين أيام سيف الدولة بن حمدان ومنهم بدر بن عمار.

ولم يكن همهم إلا الوقوف بوجه الغزاة الصليبيين فكانوا إذا تأزمت الأمور يستنجدون تارة بحلب وطوراً بدمشق، فاستولى الصليبيون على اللاذقية وجبلة وبانياس وانطرطوس «طرطوس»، رغم ما بذله بنو عمار من شجاعة وجهد، وأخيراً سقطت العاصمة طرابلس بيدهم.

وكانت خطة الصليبيين أن يسلكوا طريق الساحل إلى بيت المقدس، ولذا تركوا الداخل والجبال. وهذا الطريق طويل ومتعرج، فكان مخطَّطهم هو الاستيلاء على اللاذقية وجبلة وطرطوس وطرابلس وبيروت وصور وصيدا وعكا، ومن هناك يواصلون زحفهم إلى بيت المقدس، وبهذا العمل يظلون على اتصال بأوربا التي تواصل الدعم.

في عام ١٠٩٨ جاء» ريموند دي صانجيل « واحتلَّ جبلة قبل أن يحتلَّ اللاذقية، وكان ذلك خلال حصار الصليبيين لعرقة القريبة من طرابلس ، وغيَّر اسم جبلة ودعاها باسم «زِيبَلْ « فأضحت مركزاً لأسقفية تابعة لإنطاكية، وبنى فيها الصليبيون أسواراً وحصَّنوا المرفأ القديم.

لكـنَّ القاضي أبا محمود عبد الله بن منصور، «ابن خليعة» رغم شيخوخته رفض هذا النير الجديد فوثب على من في جبلة من الصليبيين فقتل وشرَّد منهم، واستطـاع أن يستقـلَّ بجبلة وبالضواحي، ضارباً بنفـوذ بني عمار عرض السماء، لأنهـا تابعة لطرابلس، فغضب الصليبيون وهاجموها بجيش بقيادة» جُودفْروا دي بويون «الذي أصبح ملكاً للقدس، وقيادة «روبير دي فْلانْدرْ» وحاصراها حصاراً شديـداً استمـرّ من ٢ آذار حتى ١١ منه، ولم يفلحا بفتحهـا عنوة لشدة استبسال أهلهـا في بـذل كلّ نفس ونفيس، وأخـيراً انتهى الأمر بعقد اتفـاق مع أبي محمود القاضـي، وكان هـذا أقرب إلى الاستسلام، وتعهَّـد القاضي بدفع جزية من المال والخيـل، وسبـب التجاوب في هـذا الاتفـاق أنَّ «ريموند دي صنجيـل « الذي كان يحاصر عرقة استنجد بقائدَيه فغادرا جبلة بعد أن وقَّعا المعاهدة مع القاضي أبي محمـود ولحقـا به في عرقة. هذه المعاهدة لم تكن إلا هدنة مؤقَّتة، إذ ما إنْ هدأت الحرب حتى نشبت من جديد. ولكن ريموند دي صنجيل الذي كان يحاصر عرقة نَدِم على استدعائهما لأنهما حصرا كلَّ شيء في أيديهما ولم يعد له أمر ولا نهي.

وكان هـدف جودفروا دي بويون أن يجعل من جبلة وجوارها إمارة له أسوة ببودوان في الرها، وكما فعل بوهيموند بأنطاكية، وبذلك يكون قد بلغ ما كان يحلم به، ولكنَّ الأمور تطوَّرت فإذا بهذا القائد يصبح ملكاً على القدس.

ظلـت طرابلـس عاصمة بني عمـار قائمة تتحدَّى الصليبيـين، بالرغم من وقـوع عرقة بيدهـم. واستنجد بنو عمـار بأبناء عمومتهـم الفاطميين في مصر، فجـاء هؤلاء واستولوا علـى المدينة وطردوا أميرها فخر الملـك أبا علي بن عمار، فالتجـأ فخر الملك إلى جبلة فسلَّمــه القاضي أبو محمود مقاليد الأمور. حيث قال سبط الجوزي في كتابه مرآة الزمان: «وهكذا لم يبق بيد بني عمار سوى جبلة وهي قلعة صغيرة تقع بين اللاذقية والمرقب».

في عام ١٠٩٩ خرج بوهيموند ودايمبرت من اللاذقية واتبعا طريق الساحل، وبعـد أن مرَّا قرب جبلة تصدَّى لهما فخر الملك فتركاه وشأنه وواصلا طريقهما، والتقيـا ببودوان في بانياس، ومن هناك سار جميع الصليبيـين إلى بيت المقدس وبعد حصار طويل شاقّ استولوا على المدينة فقتلوا الشيوخ والأطفال والنساء.

وفي تلك الأثناء زحف «تَنكردْ» من بانياس إلى جبلة معقل فخر الملك وحاصرها حصاراً شديداً وقطع عنها جميع الموارد من مؤن وذخيرة ورجال فلم يستطع فخر الملك أن يقاوم هذا الحصار الدامي الطويل، لقد نفد منه كلُّ شيء. فاضطر إلى تسليمها في شهر تموز من عام ١١٠٩ م الموافق ٥٥٣ هـ، فسمح «تنكرد» لابن عمار بالخروج سالماً مع أسرته أما القاضي فكان قد توفي وفي قلبه حسرة.

التجأ فخر الملك إلى «أسامة بن منقذ» صاحب قلعة شيزر الذي كان شوكة صلبة في وجه الصليبيين، وبعد أن أقام عنده فترةً من الزمن رأى من نفسه أنه يكفي ابن منقذ متاعبه وحروبه المتواصلة ضد الفرنجة، فغادر فخر الملك شيزر إلى دمشق سيراً فاستقبله الملك (طفكتين) وعطف عليه، وهذه كانت نهاية البطل الذي ملأ حياته نضالاً مع الصليبيين.

قامت دولة الزنكيين بقيادة المجاهد عماد الدين الزنكي، فأعلن الجهاد وهاجم الرها واستخلصها وأعادها عربية مسلمة.

وفي سنة ١١٦٤ م اتجه ابنه نور الدين بعد أن ورث العرش عن أبيه متتبعاً سيرته فانتصر على الفرنجة في حارم وأسر قادتهم وزحف نحو جنوب الشام تاركاً الساحل لمعارك أخرى، وما لبث أن أصبح ملك دمشق فأرسل أحد قادته أسد الدين شيركوه أي أسد الجبل إلى مصر، وكانت الدولة الفاطمية تلفظ أنفاسها الأخيرة. فالنظام مختل والأمن مفقود وخليفتها العاضد لدين الله الفاطمي لا حول له، وكان مع أسد الدين شيركوه ابن أخيه يوسف صلاح الدين الذي أصبح وزيراً، ولما مات عمُّه استلم زمام الأمور جاعلاً مقاليد الحكم كلها في يده زمن العاضد، ولما توفي هذا الأخير أصبح سيد مصر، فوحَّد مصر ومكة والمدينة واليمن وبلاد الشام وفكرَّ بالزحف ضد الفرنجة الذين أنشؤوا إمارات لهم في كل مكان، كما أقاموا مملكة في بيت المقدس.

وفي ٢٩ حزيران عام ١١٧٠ اضطربت الأرض بزلزال عنيف خرب المدن الساحلية أنطاكية - اللاذقية - جبلة - حصن الأكراد - طرابلس وجبيل. وظلت

جبلـة خاضعة للنير الصليبي، فكانت القلعـة التي بناها معاوية والمدرج الروماني منطلقاً للحامية الصليبية يقتلون ويخطفون من شاؤوا.

فكـرَّ صلاح الدين بالزحف فأعلن الجهاد المقدَّس وعبَّأ الجيوش وسلّحها بكل وسائل الحصار والتدمير، وبدأ حملته المظفَّرة عام ١١٧٨ م، فترك مصر على رأس جيش كثير العُدَّة والعَدد، ولقيه جيش آخر مـن دمشق فاتجه نحو فلسطين وبـدأ يستعيد مدينة بعد أخـرى حتى التقى بالجيش الصليبي في حطين، وكانت المعركة حاسمة فانكسر الصليبيون ووقع الملوك والقادة أسرى بيد السلطان، ومن بينهم ملك القدس «جي دي لوزينيان».

ثـم دخل سورية عام ١١٨٨ م، وسار بمحاذاة الساحل يحرّر المدن والقلاع، وألقـى الحصار علـى صور التي التجأ إليها الصليبيـون بعد إطلاق سراحهم من فلسطين، وظنوا أنَّ باستطاعتهم أن يدحروا صلاح الدين، إذ إنَّ النجدات جاءتهم متتالية من الغرب فدافعوا عنها دفاع المستميت بقيادة المركيز «مونتفرات».

ورأى صـلاح الدين أنه من المحتم عليه ترك هذا الحصار الذي يعيقه عن مهمته الكـبرى، وما قيمة مدينة واحدة إذا ما استولى على بقية المدن الساحلية؟ لذا فكَّ الحصار وزحف على الساحل الشمالي فهاجم في نفس السنة قلعة الحصن ولكنـه ارتد عنها ليسيطر على الشاطئ من طرابلس حتى أنطاكية، فاستولى على انطرطوس (طرطوس). ولم يتعرَّض لقلعة المرقب لمناعتها وقوتها فأخذ بانياس وذلـك ليقطع عـن القلعة جميع الخطوط من مواصلات ومـدد، واستعاد جبلة في ٢٠ تموز من السنة نفسها التي توافق عام ٥٨٤ هـ، فاستقبله الأهالي بكل ما أوتوا مـن مظاهر الزينة والهتافات، ثـم رأى أنَّ من المفروض أن يستولي على قلعة بني قحطان الواقعة على مقربة من طريق عين الشرقية وذلك ليؤمن الاتصال بحماة، ودخـل اللاذقية في ٢٣ تموز من العام نفسه بعـد معركة حامية دامت ثلاثة أيام، ومشى نحو قلعة صلاح الدين وبذلك أمّن اتصاله بشيزر.

وفي عـام ١١٩١ حاول «بوهيموند» أمـير أنطاكية استرداد اللاذقية وجبلة

لكــنَّ القــوات الأيوبية المدعومة من السكان أنزلت به هزيمــة نكراء بعد أن كبدته خسائر جسيمة، فعاد إلى مقره مدحوراً.

وقــام بوهيموند الثالث عام ١١٩٧ بمحاولة مماثلــة علّه يسترجع المدينتين فهاجمهمــا من البحر ليأخذهمــا على غرّة، ولكن وجد أنَّ الملــك الظاهر الأيوبي كان علــى علم بمخططه، فحصَّن اللاذقيــة وجبلة وزوَّدهما بالرجال والعتاد. ولما نــزل عنــد بانياس وزحف نحو جبلة رأى ما أذهلــه، فاضطرَّ أن يتراجع ويعود من حيث أتى.

تخلَّــى العرب عــام ١١٩٨م عــن الهجوم وتحريــر البلاد، فجــاء «ريموند سيبان» إلى جبلة وبعد أن استولى عليها قدَّمها لقمة سائغة لفرسان الإستبارية[١]، فغضــب لذلك فرسان المعبد [٢]، متذرعين بأنَّ جبلة حق من حقوقهم، ومتبجحين بانتصاراتهــم الداخلية. وتنازعهمــا هذا يدل على أن جبلة كانــت مركزاً تجارياً هامــاً، إذ نــرى أن سوقها الوحيد في النسيج لا غير قــدَّم لفرسان الإستبارية عام ١٢٢٠ م دخلاً مالياً كبيراً يربو على ألفي مثقال من الذهب.

وفي سنــة ١٢٠٣ هاجم بعضــ الصليبيين المتطرفــين المتحمسين لعقيدتهم وذلــك في زمن «آمــوري» المنطقة الساحلية مــن طرابلس حتــى السويداء (قرب أنطاكيــة)، وهــذه المنطقة الواسعة كانــت بأيدي المسلمين العــرب ما عدا بعضها كجبلــة مثــلاً، فأســرع الملــك المنصور سيِّــد حمــاة إلى ملاقاتهــم فهزمهم عند اللاذقيــة وقتــل الكثير منهم وعاد بالأسرى إلى مدينتــه، فخاف من كان في جبلة مــن الصليبيــين فتركوها، وعادت جبلــة واللاذقية إلى الدولــة الإسلامية، ولكن اسم جبلة ظل كما هو أي «زيبل».

---

(١) فرسان الإستبارية هيئة دينيّة ظهرت في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبيّة في القرن الثاني عشر.

(٢) فرسان المعبد، أو فرسان الهيكل: هيئة دينيّة من أشهر الجيوش الصليبيّة في الشرق، وكان لهم لباس خاصّ يتميَّزون به.

وفي عـام ١٢٠٤ م و ١٢٠٥ م خـرج الصليبيـون من طرابلس وشنوا غارة على جبلـة واللاذقيـة فقتلوا عدداً كبيراً مـن السكان وغنموا وسبـوا وتوالت غاراتهم بقصـد النهب والسلب والتدمير، ما حدا بصاحب حلب الملك الظاهر الأيوبي إلى إرســال حملة كبيرة ضدَّ حصن المرقـب، فحاصروه وهدموا برجه، ولكنهم عادوا بأيد مملوءة بالغنائم بعد أن كادوا يفتحونه دون الوصول إلى جبلة أو اللاذقية.

كانت «لاوديسة» اللاذقية مرفأ لقلعة شيزر كما كانت جبلة مرفأً لبالاتونس «بلاطنيس»، وكان ثمَّة حصن فيه برج مرتفع يراقب طريق كبالا – صهيون (قلعة صـلاح الديـن) ويرصد تطورات الأحـداث، ويراقب تحركات العـرب المسلمين، ولأجل هذا كان الصليبيون يهتمون بالاحتفاظ بجبلة بشتى الوسائل.

وفي عـام ١٢١٩ م استـولى الصليبيون على دميـاط المصرية وذلك بقيادة القديس لويس التاسع ملك فرنسا، مما اضطرَّ الملـك الكامل الأيوبي إلى عرض اتفـاق مُزرٍ واستسـلام ذليل، هو أن يجلو الفرنسيون عـن مصر مقابل إعطائهم القدس وعسقلان وطبرية وجبلة واللاذقية وسائر ما فتحه السلطان صلاح الدين الأيوبـي من مـدن الساحل، فأبوا العرض وألح الملك ثانية فرفضـوه ثانية. وبرز حينها الملك الظاهر بيبرس المملوكي، وجعل همَّه الشاغل محاربة الصليبيين في كل مـكان، فنازلهم وكسرهم في كل معركة واسترجع أكثر المدن الساحلية والداخلية؛ وخلفه الملـك قلاوون مواصلاً النضال فاحتل المرقب عام ١٢٨٥م ثم جبلة، وألغى اسـم «زيبل» الصليبـي ليعود لها اسمهـا الحقيقي جبلة. ثم زحـف بجيش عارم ففتـح طرابلس في ٢٤ شبـاط ١٢٨٩ م وجلا الصليبيين عن جميـع مراكزهم في إمارة طرابلس ومن جميع المدن الساحلية، وتخلَّص الشرق من حروب دامية ظلت قرنين ونيف، وأصبحت سورية بكاملها تابعة للمماليك في مصر.

وهكـذا ظلـت جبلة تحت حكـم ولاية حماة طيلـة عهد المماليـك، فأهملت وازدادت سوءاً ونزح الكثير من سكانها لما يلاقون من سوء التصرف وغلاء المواد الغذائية وفساد النظام وقسوة العيش.

وفي سنــة ١٣٦٥ م أغــار ملــك قبرص «بطرســ لوزينيــان» – إذ لم تبقَ في أيدي الصليبيين إلا هذه الجزيرة – مغتنماً الحالة الأمنية السائدة في كلّ البلدان السوريــة، فهاجم جبلة واللاذقية وبانياس وذلــك لقرب هذه المدن من الجزيرة، فهبَّ السكان من الساحل والجبل ووقفوا بوجه المغير فرجع خائباً.

وفي عام ١٥١٦ م زحف السلطان العثماني سليم الأول الملقب بياووز فحارب المماليــك وانتصر عليهــم وخضعت له سوريــة ومصر، فأصبحــت جبلة عثمانية وازدادت إهمالاً وفقراً.

وفي عهــد السلطــان سليمان القانــوني أضحت مركزاً لسنجــق تابع لولاية طرابلس، ولكنَّها ظلت تعاني من الإهمال والعوز أكثر من مئة عام.

وفي سنــة ١٦٢٤ تعهــد الأمير فخر الدين المعني سيد لبنان بأن يدفع للدولة العثمانيــة مئتي ألف لــيرة ذهبية، فأنعم عليــه الباب العالي بولايــات سورية من حــدود حلب حتى حــدود القدس ولقَّبه بسلطان البر، فجاء هــذا الأمير إلى جبلة فاستقبله الأهــالي بجميع مباهج الفرح والزينة وقدموا له النفقات ثلاثة أيام مع عشرين ألف فرس، وشكوا له سوء حالهم المزرية و ما هم فيه من ضائقة، فطيَّب خاطرهــم ورتَّب أمورهم، ولكنهم لم يروا شيئاً مما وعد. وفي عام ١٨٥٨ م انسلخ سنجــق جبلة عــن ولاية طرابلس وضُــمَّ إلى اللاذقية. وفي سنــة ١٨٧٥ م داهمها الهواء الأصفر ففتك فيها فتكاً ذريعاً.

وظلــت جبلة عثمانية حتى هبط الفرنسيــون المستعمرون البلاد سنة ١٩١٨ فثــار الشيخ صالح العلي ١٩١٩واشــترك الكثير من سكان هذه المدينة بثورته، ولما خمدت عام ١٩٢٢م أصبحت قضاء مضموماً إلى محافظة اللاذقية .

وبعــد جلاء الفرنسيين عــام ١٩٤٦م ظلت على ما هي عليــه ولكن استبدل القضاء باسم منطقة.

تبلــغ مساحة المدينة القديمة حوالي ١٦هكتاراً، حيث تشكل حوالي ٤ ٪ من كامـل مساحة المدينة الحالية، وتتألف من الأحياء (العزّي - الدريبة- الصليب- البحـر). ولا تزال محتفظة بعمرانهـا، وإن كان يحتاج إلى الصيانة والترميم في أجـزاء منه، إنَّ نسيج مدينــة جبلة القديمة نسيج متميز لعـدة أسباب تجعل منه أحد المقومات السياحية الأساسية، لأنَّ عناصر النسيج المعمارية متنوعة ومتعددة الوظائف ويعود لفترات تاريخية متنوعة.

إنَّ نسيج مدينة جبلة القديمة تقليدي من حيث التلاحم والأفقية، الشوارع والأزقة ضيقة، متعرجة ومظللة، حيت تتخللها بعض القبـوات (السيباطات) في بعض المواقع.

والتخطيـط الهلنستـي[1] للمدينــة القديمــة يظهــر واضحــاً، وشوارعهــا الرئيسيــة تشكل ما يسمى (القصبــات) في المدينة العربية. (كشارع الملك فيصل وزقاق المفتي)، تتوزَّع على جانبي الشارع الرئيسي الأزقة الضيقة والمتعرجة والتي تتفرع عنها طرقات مسدودة تضيق وتتسع، تتوزع خلالها الأبنية السكنية وأهمها: بيت وجيه علــي أديب وبيت رياض علي أديب ودار المحكمة والحصن العتيق وبيت فاطمــة يونـس والروضة والمحكمــة وبيت المفتي وبيــت كردية وبيــت الأغا. وأهم أسواقهــا القديمــة: سوق البيض وســوق الصاغة وســوق السمك، ويعــدُّ المنطقة الحيويــة اجتماعياً واقتصاديــاً في المدينة القديمة. وأهــمُّ جوامعها الأثرية: جامع السلطان إبراهيم بن الأدهم والمنصوري والاستنابولي والحموي والغزالي وخبيصة والقاصبنجــي والأكراد والقنطاري والشاويشـ والعمري والمغاوري، وأما الحمامات الأثريــة: حمَّام السلطان إبراهيم بن الأدهم وحمَّــام التصاوير (المنصوري). كما تنتشر المدافن القديمة على طـول الشاطئ الصخري باتجاه الشمال ومنها مدافن الجبيبات والعزي.

(١) الهلنستي: مرحلة تاريخية زمن الاسكندر المقدوني وكليوباترا. من القرن الرابع ق.م إلى القرن الأول ق.م.

معاني أسماء أهم القرى في منطقة جبلة :

فيما يلي نورد معاني أسماء أهم القرى في منطقة جبلة التي لها أصول قديمة ومنها:

القطيلبية – الدالية – عين الشرقية – بيت ياشوط – عين شقاق – بستان الباشا – قرفيص – الحويز – السخابة – العقيبة – القبو- البرجان – حمَّام القراحلة – حميميم- ديروتان – سيانو- سوكاس – رأس العين –غنيري- البودي – الشراشير – زاما.

بيت ياشوط :

يا: المخصب، شوط: بعلة الخصوبة وهي تسمية سريانية تعني مكان البلعوم وربما لشبه المكان بالبلعوم.

عين شقاق :

الشق: الصدع. الشقائق : سحائب تبعجت بالأمطار الغدقة، والشقاق: غلبة العداوة والخلاف. فيكون معناها إما العين النابعة من الصخور المتصدعة أو عين العداوة والخلاف. ويرى المطران حنًّا أنها تعني في السريانية عين المغارة أو الدهليز.

بستان الباشا :

الباشا: لقب من ألقاب التشريف كان يطلق في العهد العثماني على بعض الأشخاص من قبل السلطان، وهو يلي في المرتبة لقب بك. قيل إنَّ أصل الكلمة تركي من باش بمعنى رأس أو زعيم.

قرفيص :

في العربية قرفصه قرفصة: جمعه وشد يديه تحت رجليه. القرفصى والقرفصاء: هي أن يجلس الرجل على أليتيه ويلصق فخذيه ببطنه. القرافص: الجلد الضخم، وهي في السريانية تعني: الهامة أو الجمجمة، قلبت السين السريانية صاداً عربية.

الحويز :

الحـوزة: الناحية، الحوز: الموضـع إذا أقيم حوله سـد أو حاجز، وهي تقع على تلٍّ يعرف بالرأس عند اتصال مصطبة ساحلية بالسهل مباشرة.

العقيبة :

تصغير عقبة وهي المرقى الصعب.

حميميم :

الحِمام: الموت، الحمم: المنايا، الحمامة: طائر، الحمامة: خيار المال، ساحة القصر النقية، المرأة الجميلة، والحمائم: كرام الإبل، حميمات في السريانية تعني الحمامات.

ديروتان :

جـاءت تسميتها من دير قديم كان موجوداً فيها وعندما سكنت المنطقة في مرحلـة لاحقـة بعد خراب الدير أطلق عليها دير الأوتـان وحور مع الزمن ليصبح ديروتان.

غنيري :

تسميـة سريانية تعني المختبئـين أو المخفيين وقد حـرف لفظها فأصبحت غنيري.

البودي :

باد الشيء بواداً: ظهر، والبود: البئر وبودي في السريانية تعني: الحمقى.

الشراشير :

اسمهـا الأوغاريتـي شراشر، وشرشارة: نبع مـاء شحيح تنحدر مياهه من مكان عال فتحدث صوتاً. الشراشير: النفس جميع الجسد. شواء شرشر: يتقاطر دسمـه، تشرشـر منه: تفـرق، الشرشر: نبت يمتـد على الأرض حبـالاً ولا شوك له.الشرشور: طائر يسمى أيضاً (البرقش) ج شراشير.

بيت عانا :

ولعل لهذا الاسم صلة باسم آلهة عبدها العرب القدماء في بلاد الشام باسم عانه أو إنانا وكانت قرينة الإله السامي إبل وذكرت عانه في المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) بصيغة (أناتو - أناتا) وذكرت في المصادر العربية بمعنى (قطيع الحمر الوحشية).

والعانة: القطيع من حمر الوحش وأصل الاسم (أن ، عن) ويصبح في اللهجة السريانية أنا، عانا أونو، عونو ومعناها: الأب - الراعي، الحارس، الناظر، الرقيب المعين.

ومؤنثه (أنانا، عنانا، أناة، عناة) والجذر عنا له معان متعددة: الغنم والضأن، الاستجابة، الانهماك في العمل، وقد يكون معناها بيت الغنم.

بيله :

اسمها في نصوص رأس شمرا بلي. وتعني بيت إيلي: بيت الله.

زاما :

الزام: الربع من كل شيء، فزام من النهار: ربعه، وزامان منه: نصفه. الزامة: الفئة والجمع زامات، وzuma في السريانية بمعنى طنين أو رنين.

سربيون :

السر: المرتفع أو الجبل والجمع سراة أو شراة (السيد الرب المرتفع). وقد تكون محرفة عن كلمة سربين المحرفة عن لفظة Serappin وهو جمع قديم معناه: صاهرو المعادن، سباكو الدراهم. أما إذا كان اللفظ مركباً من لفظين فيرجح أن تكون الكلمة عبرية آرامية معناها الأمير والمقدم والمتسلط ويكون الاسم (سر ربيّن): أمير الأمراء، مقدم الأمراء.

اسكدالي :

الأسكلة: كلمة يونانية أو إيطالية scala بمعنى: سلم أو درج، أطلقت على المرفأ أو الميناء لأنها توصل إليه. وقد يكون معناها رافعة الدوالي. والأسكة: جهاز

خشبي داخل في البحر يتوصل به إلى البر وهو في عاميتنا (سقالة) سقالة البناء، سقالة العريشة وسقالة القز.

البرازين :

في السريانيــة برا: ابن، زين: مصدر ضد الشــين (الحسن) فيكون المعنى (ابن الزين). البردون: يطلق على غير العربي من الخيل والبغال والجمع براذين. ويرى الأب حنًّا أنها تعني مكان الأسرار والأفراح.

بتمانا :

البــاء: بيت – محلة موضع. والجــزء المتبقي من السريانيــة يعني الجنوب أو ريــح الجنــوب فيكون معنــى التسمية المنطقــة الجنوبية أو منطقــة هبوب ريح الجنوب.

بسمالخ :

بســ + مالخ: التي تعني في العبرية (ملك) وفي العربية: الملخ وهو تخصيب الأرحــام والفرار والتكبر. المالخ: الهارب، المليخ: الذي لا طعم له. السمالخي: من الطعــام : ما لا طعم له . وسملوخ النصي: ما تنتزعه من قضبانه الرخصة. ومن المرجح أن يكون معناها (النور الهارب).

بسطوير :

الباء: بيت، وفي الآرامية سوطر وسيطر بمعنى تسلط. وقد تكون مؤلفة من ثلاثــة مقاطع : الباء بيت +سو: ذو + طير فيكون المعنى بيت ذو الطير على اعتبار أن (سو) في الآرامية تعني ذو.

بسيسين :

بســي سين (النــور سين) حيث فخمت العربية بســ بالصاد (بص) وهي تفيــد معنى الضياء وكذلك تعنــي السنا، النور وسين: اســم القمر عند الأكاديين والحضارمة، حيث نشأت الدولة المعينية اليمنية، فيكون معناها (بصيص النور). ويرى المطران حنًّا: أنها سريانية تعني مكان السوس أو العتة.

البشراح :

الباء: بيت. شرح صدره للشيء وبه: سره به وطيَّب به نفسه. والمعنى المسرَّة والانشـراح. ويـرى المطـران حنَّا أنهـا سريانية مركبـة تعني مـكان الأسرجة أي المصابيح.

بشراغي :

البشر: بشاشة الوجه بشري: من الأسماء التي تحتمل عدة تفاسير لأن جذر شرى له في الساميات معاني عدة وكلها تصلح لأن تكون تسمية لمكان جغرافي.

جـذرshra يفيد الحـل (١) والفك ضد الربـط ومنه النـزول والإقامة في مكان (من فكِّ الأحمال وحلِّ الأربطة) والتحرير والإعتاق. الابتداء والشروع (٢) وربمـا كان الناقص في آخره تلييناً لحرف العين= شرع (٣). الرطوبة وإذا كان الجذر sharr فإن معناه القوة والمنعة والثبوت والباء في أوله مقتطعة من بيت مكان ومقام، وعليه يكون معنى الاسم مكان النزول والإقامة والاستيطان، بيت المبتدئ، المكان الثابت الراسخ عند سفح الجبل. فبأيها سمي المكان؟

الغاية: الراية، المدى، غيا الراية: نصبها، الغائدة المقصودة ج غايات وغايٌّ والنسبة إليها غائيٌّ.

بشيلي :

البـاء بيت والجزء الثاني سرياني من جذر (سكن – هدأ وصمت واختلى) فيكـون المعنى مكان الهدوء والسكينة والخلـوة. وفي السريانية أيضا Bshel تعني نضج، مكان الطبخ.

التلازيق :

التلـة معروفة. زيـق: تزيقت المرأة: تزينت واكتحلـت، الزيق من الثوب: ما أحاط منه بالعنق، والزيك: جواهر صغيرة مرصعة حول جوهرة كبيرة (فارسية)، فيمكن أن يكون المعنى: تلة الجواهر.

حرف المسيترة :

حــرف كل شيء: طرفه وحدّه. ستر ســتراً: الشيء: غطاه. المستر: مايستر به والستار: الستر. يقال مد الليل ستاره أي انتشر ظلامه.

القطيلبية :

سميت بهذا الاسم لانتشار شجر القطلب فيها.

حلبكو :

الحــل: (مصــ) ضد الحــرام. النازل بالمــكان. والحل: الاســم من تحليل اليمــين. بكه بــكاً: زاحمه. البــاك: الأحمق، تبــاك القوم: ازدحمــوا، بك الشيء: خرقه وفسخه.

حلة عارة :

الحلــة المحلة: المجلس والمجتمع. مــن الشيء: جهته. الحلة: كل ثوب جديد. العارة والعارية: الإعارة وماتعطيه غيرك على شرط أن يعيده إليك (الثوب الجديد المعار). الغار: الكهف، نوع من الشجر واحدته غارة والغارة: النهب، العار: العيب، ولذا يحتمل أن يكون المعنى: محلة الغار، الثوب المعار. محلة النهب والعيب. ويرى المطران حنَّا أنها تسمية سريانية تعني الأخوال الظرفاء.

القلايع :

القلعة: الحصن والجمع قلاع وقلوع. والقلعة: الهضبة العظيمة، والصخرة تنقلع عن الجبل منفردة.

والقلاعــة: الحجــر والمــدر يقتلع من الأرضــ. والمقلع: مــكان قلع الحجارة والجمع مقالع. ويرجح أن يكون معناها: الأراضي التي تكثر فيها الحجارة والطين وتصلح لأن تكون مقلعاً للصخور.

كفردبيل :

مؤلفــة من جزأين كفر+ دبيل: كفــر: مأخوذة من السريانيــة تعني القرية وهــي سامية مشتركة وفي الحديــث (تخرجكم الروم منها كفراً كفــراً) أي قرية قرية، وقد نسبت إلى رجال وسميت القرية ب (كفر) لأنها حصن وملاذ ومخبأ.

دبيل: يرجح أنها مخففة من اللفظة الآرامية التي تعني التين المجفف، وكلمة Zabel في السريانية تأتي بمعنى قديسة، وبهذا يصبح معناها قرية القديسة.

ويرى المطران حنَّا أنها تعني في السريانية قرية كوكب المشتري ربما لوجود معبد بهذا الاسم.

بطشاح :

سريانيــة (بطشية) المخبــأ أو المخفي عــن النظر. والمعنى بيــت المختبئين الكامنين. وفي السريانية (شطاحة) بمعنى الساحة والفسحة خارج القرية والأرض الممهدة وفي عاميتنا نسمي (المسطاح، المسطح) من جذر شطح - سطح.

دراسة تطور المخططات العمرانية في جبلة

بتاريخ ١٣/ ١٠/ ١٩٩٨ صدر قرار وزارة الثقافة رقم ١٢٥/أ المتضمن تسجيل المدينة القديمة في سجل المدن التاريخية والتراثية على أن تصدر لاحقاً التعليمات والأنظمة الضابطة للترميم والبناء في شرائح المدينة القديمة.

تشكل مدينة جبلة القديمة جواراً للمدينة الحديثة، وهي مرحلة انتقالية من حيث التاريخ والارتفاع بين الميناء الفينيقي وتل المصيطبة الذي يعود للعصر الهلنستي باتجاه التوسع وامتداد المدينة الحديثة، إلا أن مدينة جبلة القديمة تمتلك أهمية خاصة كونها تعبّر عن مرحلة هامة من تاريخ الساحل السوري رغم قلة الوثائق القديمة الخاصة بمدينة جبلة القديمة إلا أنها أعطتنا فكرة واسعة عن الوضع العام للمنطقة، مما ساعد إلى حدٍّ كبير في المحافظة عليها ووضع نظام ضابطة بناء خاص بها، إن وجود المسرح الروماني وإحداث متحف وطني يغني تراث المدينة، ويجسّد الإرث الثقافي والمخزون التاريخي لها، كما أن المحور البصري بين المسرح الروماني والمتحف المقترح (السرايا) يعطي تواصلاً تاريخياً ونقاط جذب واستدلال للسياح وإذا ما دققنا هذا المشهد نلاحظ الاستمرار البصري باتجاه جامع وحمّام السلطان إبراهيم، انطلاقاً من التخطيط الشطرنجي لشوارع المدينة القديمة الذي مازال مُحافظاً عليه في بعض أجزاء المدينة القديمة.

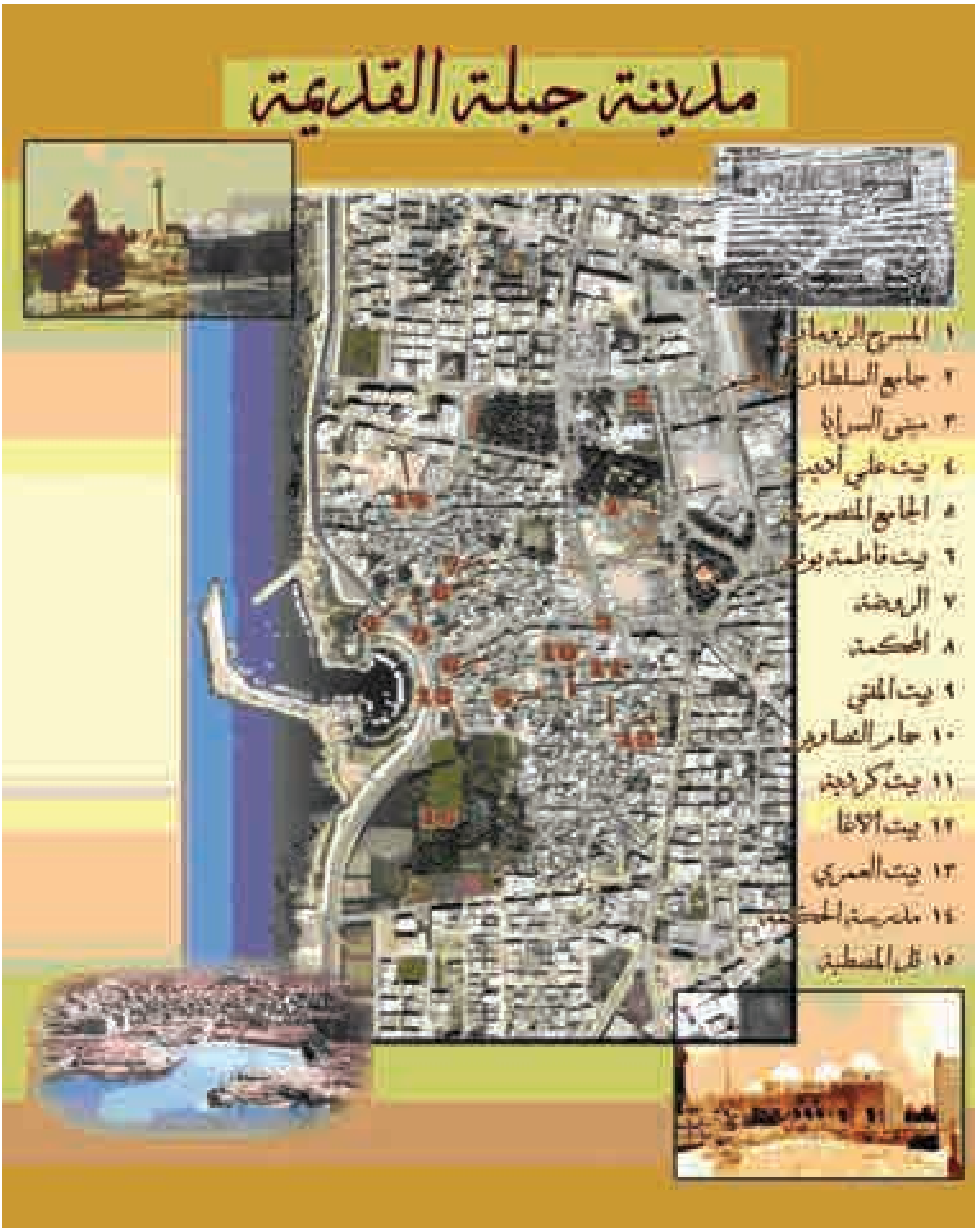
إن الاهتمام المتزايد بمركز المدينة الأثري وخلق فراغ وسطها، وتحويله إلى ساحة رئيسية تتضمن الحدائق وممرات المشاة مع تحويل حركة السيارات

إلى حركة محيطية، إنما يهدف إلى إظهار المباني الأثرية المطلة على الساحة المركزية بالشكل اللائق والحضاري والتي تشكل فراغاً عمرانياً وبصرياً انتقالياً بين المدينة القديمة والحديثة .

من معاينة مخططات المدينة القديمة والحديثة، نلاحظ من الناحية التخطيطية استمرار تمركز المدينة القديمة في قلب المدينة الحديثة أيضاً، وهذا يشكل عبئاً كبيراً عليها من الضغط المروري والسكاني والتنظيمي.



مخططات تبين تطور مدينة جبلة



صورة جوية لمدينة جبلة توضح أماكن بعض الأبنية القديمة الهامة



صورة جوية لمدينة جبلة عام ١٩٣٢



صورة جوية لمدينة جبلة عام ١٩٥٨



صورة جوية لمدينة جبلة عام ٢٠٠٢



صورة جوية جنوبية لمدينة جبلة عام ١٩٣١



صورة جوية غربية لمدينة جبلة عام ١٩٣٧



صورة جوية شرقية شمالية لمدينة جبله١٩٣٧



صورة جوية شمالية لمدينة جبله ١٩٣٧



صورة جوية شمالية لمدينة جبله ١٩٥٨



مشهد من مدينة جبلة عام ١٩٥٨



مدينة جبلة ويظهر فيها المسرح الروماني عام ١٩٣٥



شخصيات في مدينة جبلة أمام مبنى السرايا القديمة عام ١٩٢٠









صور لبعض الحارات القديمة في جبلة

المسـرح الرومـاني

مـن أصل ثمانية مسـارح أثرية مكتشفة حتـى الآن في سورية، يبرز مسرح جبلـة الأثري وهو بحالة سليمـة إلى حد مقبول ولعله يشغل الموقع الثاني من بينها لجهـة سلامـة بنيانه واستيعـاب المتفرجين بعد مسـارح بصرى وتدمـر وشهباء وأفاميا وبصرى والنبي هوري.

الموقـع:

يقـع المسـرح وسط مدينـة جبلة الحديثـة وفي الجهة الشرقيـة من المدينة القديمـة، بمجاورة السور الروماني كما هو الحال في موقع مسرح بصرى ومسرح جرش الجنوبي.

واقع المسرح وتاريخ بنائه:

يُرجع بعض المؤرخين تاريخ بنائه إلى عهد الإمبراطور جوستنيان، ولكن هذا غير مؤكـد حتى الآن، فمن خلال الدراسة المعماريـة لمسقطه وزخارفه الهندسية يمكن أن نرجع تاريخ بنائه إلى القرن الثاني الميلادي.

أتى علـى ذكره معظم المؤرخين والجغرافيين، وقالوا إنَّ الخليفة معاوية بن أبـي سفيان بنى حصنـاً عربياً إسلامياً في جبلة خـارج الحصن الرومي القديم، ويستنتـج من ذلك بأن الروم البيزنطيـين حولوه إلى قلعة للدفاع عن المدينة أثناء

الفتح العربي الإسلامي لمدينة جبلة، ويبدو أنه بقي قلعة حتى في الفترة الصليبية والأيوبيــة والمملوكية، يُدلُّ على ذلك من خلال الأبنية المضافة والقطع الأثرية من فخار ونقود ظهرت أثناء أعمال التنقيب.

زاره عــدد من الباحثـين والرحالة منهم المؤرخ أرنســت رينان E. Renan الــذي زاره عام ١٨٦٠ فوجــده بحالة جيدة، يبدو أنَّه بعد هــذا التاريخ قد امتدت إليــه يــد العابثين، ويشهد بذلك المــؤرخ رينيه دوســو R. Dussaud عقب زيارته للمــدرج عام ١٨٩٥، لأن حالة المسرح ازدادت سوءاً ربما بسبب الزلازل المتلاحقة التــي تعرضت لها المنطقة وعبث الأهالي بحجارتــه وأعمدته، وكذلك يد الإنسان التي تأخذ الحجارة المشذبة لبناء بيوتها، وهذا ما ساعد على تشويه هذا المسرح، حيث بات مكباً للقمامة والأنقاض.

من المؤكد أن المسرح استخدم حصناً في الأدوار الإسلامية، ومنه أطلق على المــكان اســم القلعة الذي بات المسرح يعرف بــه إلى يومنا. وهذا التحويل نجد ما يماثلــه في مسرح بصرى أيضاً. كما تفيدنا شهادة شيخ الربوة الدمشقي حين زار جبلة (بأنه كان فيها مقر لملك له سِربٌ أو سرداب يركب الراكب فيه تحت الأرض إلى ظهــر السفينة بالبحر). ولربمــا كان هذا مرد الاعتقاد السائد والمتواتر لدى أهل جبلة بأن مغارة البابين المحفورة أسفل الكتلة الصخرية التي يقوم عليها الآن مبنى مديرية ميناء جبلة تتصل بسرداب طرفه الآخر في القلعة أو المسرح.

يوافق المسرح بتصميمه العام ما هو معروف عن مسارح العالم الكلاسيكي. غــير أن ما يميــزه حقاً هو أنه بيّن وواضــح جداً، والكيفية التــي تبنى بها المسارح علــى موقع منبسط، وسنستغــل فرصة الحديث عن المسرح لشــرح هذه الناحية، وتتلخص المشكلة المطروحة هنا بالسؤال التالي:

كيــف يمكننا أن نحصل على الشــكل القمعي وتراكب الدرجات فوق العقود الحلقية للحصول على صحن المسرح فوق أرض منبسطة؟

إن مسـرح جبلـة يقدم لنـا الإجابة علـى هـذه المسألة بكل وضـوح، حيث يوجـد عقـدان حلقيان نصـف دائريـين: الأول محيطي أي خارجـي كبير ومرتفع يرسـم الاستدارة الكبرى المحيطية، والثاني داخلي صغـير وأقل اتساعاً وارتفاعاً منـه. ولإكمال الشكل نصـف القمعي أو نصف المخروطي فـوق هذين الدهليزين الحلقيـين، أي فـوق ظهرهمـا من جهة الخـارج، لا بد من إكمال الفـراغ المتشكل بينهمـا بعقـود معترضة محاورها تتوجه نحـو مركز المسـرح، أي أن هذه المحاور تلتقـي في مركز المسرح. ويبقى علينا إمـلاء أو ردم الفراغات المتشكلة بين ظهور هـذه العقود جميعها لتحقـق شكلاً قمعياً مثالياً لنصبـح بعدئذ جاهزين لتركيب درجات صحن المدرج عليه.

يتسـع المسرح إلى ثمانيـة آلاف متفرج، وهذا يدل علـى أن مدينة جبلة في العصر الروماني كانت من المدن الأكثر أهمية بالمقارنة مع المدن الأخرى المعاصرة لها، والمسرح مبني على أقواس وعقود بشكل هندسي دقيق، يتألف المستوى السفلي من ١٣ درجة والمتوسط من ١٢ درجة، أما العلوي فلم يبقَ منه سوى أربع درجات، ويعتقد أن العدد الإجمالي للدرجات ٣٥ درجة، ربما تنتهي الدرجة الأخيرة برواق معمـد مسقـوف كمسرح بصـرى، وتؤمِّن حركـة الاتصالات داخـل المسرح وعلى الدرجـات بوساطة الرواق الرئيسي الذي يعطي المسـرح الشكل الدائري وبأدراج موزعة بشكل دقيق على الدرجات.

يـدل بناء المسرح وتنظيم مدرجاته وعقـوده وأروقته ومواد بنائه وتزييناته الحجريـة على مهـارة هندسية تشـير إلى عبقرية ذلك العصـر، ولذلك استحق قـول أحد مرافقـي بعثة أرنست رينـان (إنه أجمل الآثار الرومانيـة على الساحل الفينيقي).

يبلـغ قطر المسـرح الأعظمي ٩٠ م تتوسطـه ساحة نصـف دائرية قطرها ٢١,٥م تدعـى الصحـن وفي وسطـه قناة لتصريـف مياه الأمطـار تمر من تحت

الخشبــة أو منصَّــة التمثيل، وجدارها الأمامي مزيَّــن بمحاريب ذات شكل نصف إسطــواني، كما يوجد وراءهــا الكواليس المشهدية التي لم يبــقَ منها حتى ما يدل على وجودها أصلاً، وذلك نظراً لإشغالات لاحقة وعوامل الزمن والطبيعة.

اعتمــد المسرح أسلــوب البناء فوق أرضية منبسطة كليــاً على نفس مستوى أرضيــة جميع الأقسام، انطلاقاً مــن أرضية ساحة الأوركســترا المنبسطة، بينما جاءت أماكن المتفرجين مرتكزة على العقود والأقواس المقنطرة والقباب. ويتألف المسرح في بنائه من حيث الهيكل العام والرئيسي من قسمين، وهما: المنصة وأماكن المتفرجــين، وتفصل كل قسم عن الآخر ساحةالأوركسترا. وتقسم المنصة بدورها إلى خشبــة المسرح وغرف الملقنــين والكواليس، كما تقســم أماكن المتفرجين إلى القســم السفلي والأوسط والعلوي والممــرات والأدراج الشعاعية والأروقة الداخلية والمداخل.

الممـرات والأدراج: زوّد المســرح بالعديــد مــن الأدراج والأقبيــة الشعاعيــة والدائريــة الفاصلــة والأدراج الداخليــة والخارجية، وكذلــك العديد من الممرات التــي تفصــل أقسام المسرح وتسهل عملية التنقل داخــل المسرح، ولكن على عكس المنهج المعتاد في المسارح الأخرى. حيث تم تنفيذ سلسلة من الحجرات أسفل الممر الأوســط وقدتوافقت هذه الحجرات مع القباب والأقواس تحت المدرجات السفلية التي ارتكزت فوق أرضية تتناسب في مستواها مع أرضية ساحة الأوركسترا، بحيث تشكل الأروقــة الداخليةمفاصل المرور بين أقسام المسرح، كما يبلغ عرض الأروقة الرئيسية أربعة أمتار تقريباً.

كما استعملت أروقة ودهاليز المسرح كمخازن ومحلات، وأُقميت فوقه داران اتُخــذت إحداها سكناً للمستشار الفرنسي والأخرى لقائد الدرك، كما نشاهد أن المســرح مغمــور بالردميــات ولا تظهر منه ســوى عدة درجات مــن أدراجه حسب الصور التالية:



مسرح جبلة قبل أعمال الكشف



مسرح جبلة أثناء أعمال الكشف

ولكن عقب جلاء الفرنسيين سعت الدولة لكشف المدرج وإظهاره، ففي عام ١٩٥٠-١٩٥٢ تمت أعمال الكشف فأزيلت المقابر والمنشآت الحديثة التي أقيمت عليه، كما نشاهد إزالة الردميات عنه وظهور صحن المسرح، وبالتالي عدد أكبر من أدراجه حسب الصورة في عام ١٩٥٨.

الصور توضح حالة المسرح بعد إخلاء دار قائد الدرك عام ١٩٦٠ وهدمه عام ١٩٦٢ وإخلاء دار المستشار الفرنسي عام ١٩٦٣ وهدمه عام ١٩٦٤، وإحداث غرفة خشبية ضمن القبو كمقر لمراقب آثار جبلة عام ١٩٧٢، كما توضح تسوير المسرح بالأسلاك الشائكة للمرة الثالثة عام ١٩٧٦ بعد تسويره عام ١٩٥٨ وعام ١٩٦٤ حيث شكّل هذا السور أول وجيبة حماية فعلية وضعت له، كما تم إخلاء المحلات التجارية الخمسة في الأقبية الشعاعية المستخدمة آنذاك للبيطرة وبيع الدخان ومستودع أخشاب قوالب البيتون، كما تم تسوية وفرش الأروقة بالحصى تحضيراً لإقامة مهرجان لم ينفذ آنذاك.



الواجهة الجنوبية للمسرح وسور الأسلاك الشائكة ١٩٥٨



الواجهة الجنوبية للمسرح وأمامه سوق الخضار ١٩٦٢



تسوية وفرش الأروقة بالحصى



لوحة فنية بريشة الفنان الدانماركي إيكنارفوكمان للمسرح الروماني ١٩٥٩/١٠/٣ قياس اللوحة ٣٤،٥×٤٩ سم

في عام ١٩٩٩ قامت بعثة أثرية سورية- بلجيكية مشتركة بأعمال توثيق المسرح بوضعه الراهن فقط دون الدخول بأعمال الترميم أو التنقيب.

في عام ٢٠٠٦ بدأت أكبر عملية كشف وتنقيب وترميم وتأهيل في تاريخ المسرح واستمر العمل حتى عام ٢٠١٠، حيث تم كشف جميع الأروقة الشعاعية والدائرية بإزالة كافة الردميات والأنقاض المتراكمة عبر الزمن بالكشف حتى عمق أربعة أمتار، وظهرت الأرضية الأصلية للأروقة وهي عبارة عن بلاطات من الحجر الكلسي بأبعاد ١×١ متر تقريباً، كما ظهرت الكورنيشات الحجرية فوق منسوب الأرضية الأصلية، ثم كُشفت الأدراج المطمورة سابقاً والتي وظيفتها الأساسية إيصال جمهور المسرح إلى مناسيب مختلفة منه لتسهيل عملية دخول وخروج المتفرجين، أما من جهة المنصة فقد تم كشف المنصة وغرف الملقنين تحتها ولها سبعة أبواب تنفتح على رواق طويل يتصل بالصحن عبر بابين جانبيين كانا مغلقين بالإضافة لإزالة المكاتب الموجودة في أقبية المسرح. وفيما يلي الصور التي توضح تسلسل مراحل العمل.



منصة المسرح أثناء أعمال التنقيب



منصة المسرح بعد أعمال التنقيب

تم ترميم مدرجات جلوس الجمهور وأدراج الدخول والخروج وأقواس الأروقة ومحاريب واجهة المنصة وأرضية المنصة والأقواس الشعاعية الحاملة للمدرجات والدرابزين الحجري.

وتُقام ثلاثة مهرجانات سنوياً في المسرح منذ عام ٢٠٠٧، وهي مهرجان طريق الحرير ومهرجان جبلة الثقافي ومهرجان المحبة.

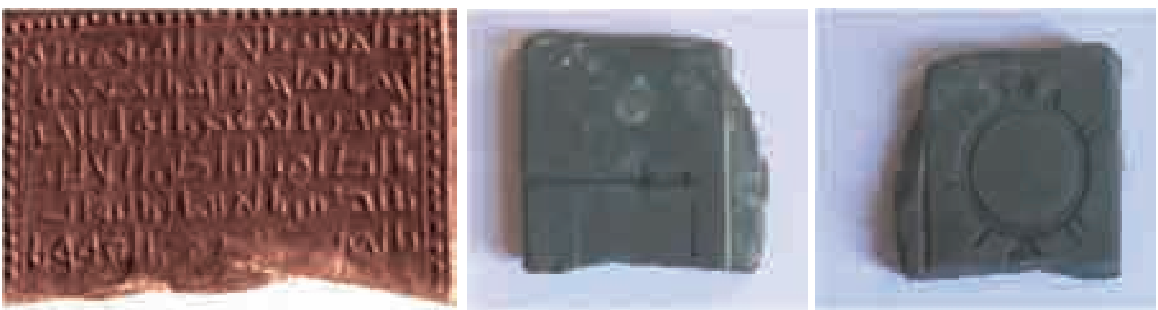


مدرجات الجمهور قبل أعمال الترميم



مدرجات الجمهور بعد أعمال الترميم

وفيما يلي صور أهم القطع الأثرية المكتشفة في أعمال التنقيب بالمسرح وأولها قالب صب الذهب الذي يعود للعصر المملوكي.



قالب صبّ الذهب



رأس تمثال من الحجر

كما عثر على نقد ضمن المدرج أثناء تنفيذ أعمال تنظيفه، وبعد إجراء أعمال التنظيف والحفظ اللازمة توضح شكل النقد . فلس نحاسي قطره ٢،١ سم، الوجه الأمامي عليه مشهد بشكل رأس الإمبراطور يعلوه تاج مع ربطة للرأس تظهر خلفه، يحيط به شريط كتابي باللغة اللاتينية يشير إلى قسطنطين الثاني (سنة ٣٣٧-٣٦١)، والوجه الخلفي عليه مشهد يرمز إلى تسلم الإمبراطور من جوبيتر إحدى ربات النصر ، يحيط بالمشهد إطار كتابي يشير إلى وجود معاهدة عسكرية .



نقد من البرونز

مبنى السرايا القديمة

يقــع مبنى السرايا في مدينة جبلــة القديمة على تقاطع المحورين الرئيسين للمدينة، وهما صلة الوصل مع قرى جبلة وباقي المحافظات، وأما المحور الأول يتجه غرب شرق ليخترق المدينة عرضاً بين اتوستراد دمشق اللاذقية والمرفأ الفينيقي، والمحور الثاني يخترق جبلة طولاً من الشمال حتى يصب في واجهة السرايا جنوباً ومتعامــداً معهــا، كما أنه يقابل أهم معلم أثري رومــاني على الساحل السوري ولا يبعــد عنه سوى ١٠٠متر، فهــذا المبنى يعد نموذجاً لأهم المباني التي تعود لعصره في الساحــل الســوري. لقد شكل هذا البنــاء المركز القيــادي والإداري والسياسي والخدمــي لمدينة جبلة منذ الفــترة العثمانية مروراً بالفــترة الفرنسية وحتى بعد الاستقــلال وربما إلى يومنا هذا، ممــا شجع على دراسة ترميــم السرايا وإعادة تأهيله كمتحف للمدينة بما يتناسب مع قيمة المبنى وموقعه الجغرافي والتاريخي.

للمبنى أهميتــه السياسية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية والدفاعية والتجاريــة لوجوده ضمــن النسيج العمــراني المتميز والمنسجــم إلى حد كبير مع النسيــج الموجود في المدينــة القديمة، من حيث نماذج الفتحــات وتلاصق البيوت والفسحــة السماوية ووجــود السيباط وارتفاعاته، ومن حيــث المساحة مقارنة مع بيوت جبلة القديمة.

وقــد كان مبنــى السرايا محور دراســة رسالة ماجستير مــن قبل المهندس إبراهيــم خير بك عام ٢٠٠٧ في المعهد العــالي للدراسات العليا في ترميم وتأهيل المبــاني والمواقع الأثريــة والطبيعية في باريــس، وذلك لمعرفة تاريــخ المبنى وأصل استخدامــه والســيرة التاريخيــة والاجتماعية، وأثره في الحياة بــين أهالي جبلة، حيــث كان الاهتمــام الكبير مــن قبل الحكومــة السورية ومنظمــة اليونسكو بنقل السجن المدني والمؤسسة الاجتماعيــة العسكرية من السرايا، وتحويله إلى متحف وطنــي تُعرضــ فيه اللقى الأثريــة الهامة، هذا مــا شكّل حافــزاً للاهتمام بفكرة تحويــل السجــن إلى متحف لما لها مــن معانٍ إنسانيــة وبشرية ساميــة بالإضافة إلى معرفــة مشــاكل متنوعــة حول الحجر الرملــي المتوفر في الساحــل وهو اللبنة الأساسيــة لكافة المباني القديمة علــى الشريط الساحلي. وأهم المبررات لإحداث

متحف وطني في جبلة هو وجود ٢٠٠٠ قطعة أثرية من مكتشفات المواقع الأثرية في المنطقة، وهي معروضة في متاحف خارج المنطقة المكتشفة منها، مثل متاحف دمشق وحلب واللاذقية وطرطوس، كما يتم إعادة المبنى إلى وظائف تناسب قيمته الأثرية بدلاً من استخدامه بوظائف غير مناسبة كالسجن والمؤسسة الاجتماعية العسكرية والمؤسسة العامة للأسماك ومحلات تجارية، كما يوجد أكثر من ربع مليون مواطن في جبلة يستحقون إحداث متحف يعبر عن تاريخهم وينمّي ثقافتهم ويشبع حاجاتهم الثقافية والتاريخية ويعبر عن ثقافة المدينة والمجتمع والدولة.

تاريخ مبنى السرايا :

بني الطابق الأرضي في نهاية الفترة المملوكيةوبداية الفترة العثمانية، ومن خلال الأسبار التي أجريت في أرض مبنى السرايا تبين أن هذا الطابق الموجود حالياً يعود إلى القرن السادس عشر، كما بني الطابق العلوي في نهاية الفترة العثمانية وبداية الفترة الفرنسية، والبناء المعروف حالياً بالسرايا هو ليس كل السرايا بل أكبرمن ذلك، وهو يمتد باتجاه الغرب ليضم بيت يعقوب آغا المؤلف من طابقين والملاصق للسرايا ويفصل بينهما دهليز مقبي يسمى السيباط، وكان المدخل الرئيسي للسرايا من تحت السيباط، وهو الآن مغلق وغير مستخدم؛ وما تزال آثار الباب واضحة حيث كان يتم إعدام الفارين من خدمة الجيش الفرنسي أمام هذا الباب. استولى العثمانيون على السرايا دون أي بدل إيجار حتى خروجهم من سورية، ومن بعدهم استولى عليها الفرنسيون.

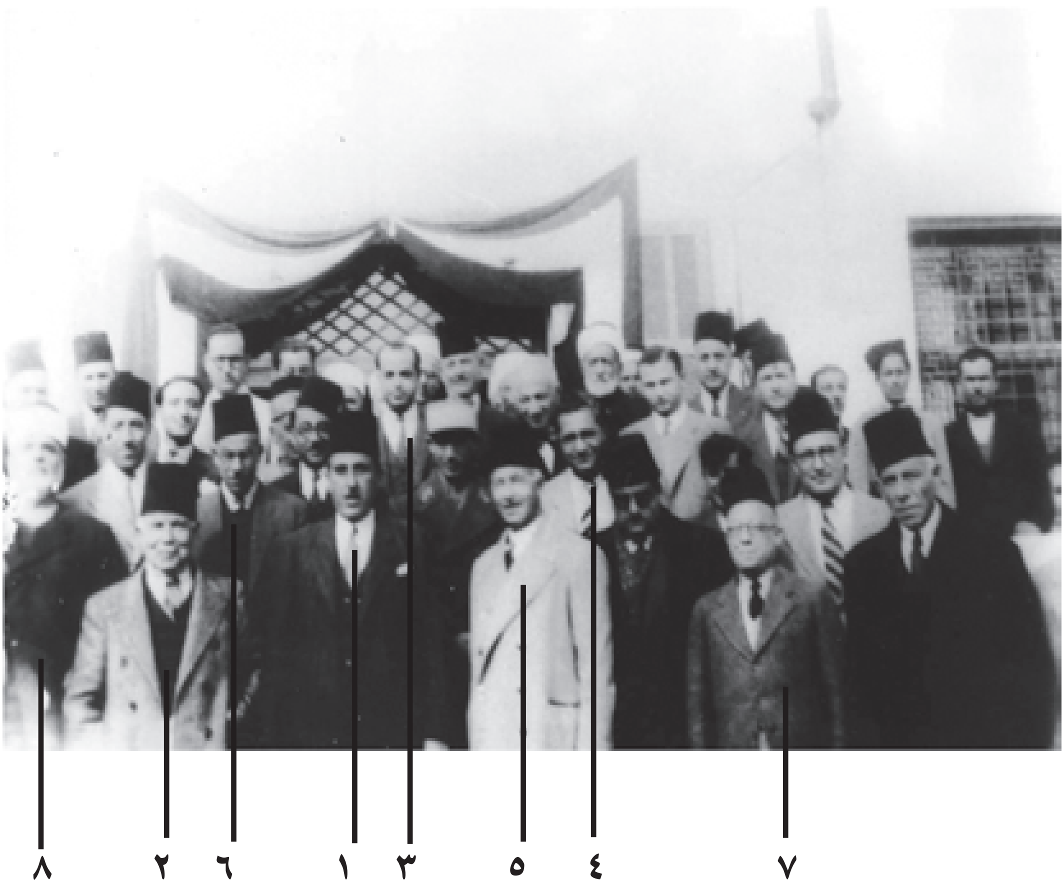
جرت محاولات منذ بداية القرن الماضي لإجراء حصر إرث لها ولكن دون جدوى، وبعد دخول الفرنسيين بدأت عمليات التحديد والتحرير ١٩٢٥ من قبل قاضي جبلة إلياس الشيخ من بلدة مرمريتا، حيث رغب الفرنسيون في الاستيلاء على مبنى السرايا، وحينها طلب قاضي جبلة من أحد وجهاء المدينة التدخل لدى مالكي السرايا ليتنازلوا عن ملكيتها مقابل مساعدتهم في حل مشاكلهم في المدينة، وبعد ذلك تم نقل الملكية إلى الدولة بعملية التحديد والتحرير.

وبناءً على طلب وزارة الداخلية بتاريخ ١٩٦١/٩/٣٠ فقد قررت وزارة الزراعة مالكة البناء تخصيص مبنى السرايا لمصلحة وزارة الداخلية وقد تحولت السرايا إلى مكاتب حكومية، وفي عام ١٩٩٨ تم تسجيل المبنى أثرياً وقد تم تخصيص القسم الأكبر من الطابق الأول عام ٢٠٠٦ و قسم من الطابق الأرضي

عـام ٢٠١٠ لصالح دائرة آثار جبلة وذلك تمهيـداً لتخصيص كامل المبنى ليكون مقراً لدائرة الآثار ومتحفاً وطنياً يضم آثارها.

زيارة الرئيس شكري القوتلي للسرايا ١٩٤٤:

بدعوة من النائب في البرلمان رياض عبد الرزاق وبمناسبة افتتاح مهرجان الربيع في طرطوس جاء الرئيس شكري القوتلي لحضور المهرجان ١٩٤٤، ثم انتقل برفقة النائب رياض عبد الرزاق إلى مدينة جبلة مروراً بقرية دوير الخطيب، ولم يتمكـن الشاعر أدونيس (علـي أحمد سعيد اسبر) من إلقـاء قصيدة الترحيب بالرئيسـ في القريـة المذكورة. وبعـد وصولـه إلى جبلـة كان في استقباله وجهاء المدينة وقد وقف على مدخل السرايا في الطابق الثاني على بسطية الدرج.



١- الرئيس شكري القوتلي رئيس الجمهورية العربية السورية

٢- السيد فارس الخوري رئيس الوزراء

٣- السيد رياض عبد الرزاق نائب في البرلمان عن مدينة طرطوس

٤- السيد رياض علي أديب نائب في البرلمان عن مدينة جبلة

٥- السيد ناظم القدسي نائب في البرلمان عن مدينة حلب

٦- السيد أسعد هارون نائب في البرلمان عن مدينة اللاذقية

٧- السيد عدنان إسرب نائب في البرلمان عن مدينة اللاذقية

٨- السيد مفتي اللاذقية

قال رئيس بلدية جبلة ياسين علي أديب: يا فخامة الرئيس، هناك طفل من أعالي الجبال يريد أن يرحب بفخامتكم، فقال له: ليتفضل وعندها ألقى الشاعر أدونيس الطفل آنذاك القصيدة التالية وكان عمره (١٣) عاماً.

سلام على هذا الهلال الذي يبدو	**وأهلا وسهلاً أيها الأسد الورد**
حللتم فخلفتم سروراً وبهجة	**وذكراً عظيماً دونه المسك والند**
حببناك عن بعد وجئنا تقرباً	**فكان كما شئنا ولم يحل البعد**
فداك نفوسٌ لم ترد خوض ذلة	**ولم تفتكر إلا وتفكيرها المجد**
أيا بن الكرام الصيت من آل يعرب	**ويا أيها المبرور والعلم الفرد**
تجلد وكافح ما استطعت لنعتلي	**فأنت لنا سيف ونحن لك الغمد**
شباب نحامي عن حمانا ولم نكن	**نبالي إذا ما ساء أو عذب الورد**
شباب يخوضون الحروب وهولها	**كأن الردى في فيهم أبداً شهد**
نزود عن المحبوب أعداه مثلما	**تزود لئام الوحش عن جنسها الأسد**
فدى العلم العربي ما عز يامنى	**البطولة الأرواح والمال والجند**

يدافع عن حق البلاد صميدع	من الصيت ليث ليس يزعجه النقد
إذا حذفت لام وياء من اسمه	بدت قوةٌ لا يستطاع لها رد
أشكري وإن الشكر باقٍ تصونه	غطارفة عد لهم ألسنٌ لدُّ
حيالك فتيان كرام أفاضل	«إذا عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدّوا»
فنحن كما شئتم قيام بأمركم	ونحن على آثاركم أبداً نعدو

فقال شكري القوتلي أعد يابني ... أعد يابني... وهو يردد شطراً من القصيدة مرات عديدة «فأنت لنا سيف ونحن لك الغمد». وعندها كلف شكري القوتلي النائب رياض عبد الرزاق تعليم أدونيس في طرطوس على نفقة شكري القوتلي حتى البكالوريا في مدرسة اللاييك.

ومن الشخصيات المهمَّة التي زارت جبلة وألقت خطابات: الرئيس المصري جمال عبد الناصر وعبد الحميد السراج وأكرم الحوراني، كما أن الرئيس تيتو وولي عهد اليمن محمد بدر صعدا سطح مدرسة عز الدين القسام المجاورة لمبنى السرايا مع جمال عبد الناصر.

زيارة القائد الخالد حافظ الأسد للسرايا ١٩٧١/١/١٧:

أما الزيارة الأهم في تاريخ السرايا على الإطلاق هي زيارة القائد الخالد حافظ الأسد بتاريخ ١٩٧١/١/١٧، حيث وقف على مدخل السرايا في الطابق العلوي، وقد حيّا حشود الشعب التي ترحب به وتهتف بحياته، وكان بجواره عدة شخصيات منها وزير المالية نور الله نور الله من أبناء جبلة والسيد وائل إسماعيل

محافظ اللاذقية والسيد علي يوسف. إن هذه الزيارة الكريمة أعطت وكرست بل أكدت أهمية السرايا في جبلة من حيث البناء والموقع ليقام أمامه احتفال يحضره رئيس الجمهورية.

القائد الخالد حافظ الأسد يحيي الجماهير من أمام
باب مبنى السرايا ١٧-١-١٩٧١



١- القائد الخالد حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية .

٢- السيد علي يوسف .

٣- السيد وائل إسماعيل محافظ اللاذقية.

٤- السيد نور الله نور الله وزير المالية.



صورة لزيارة القائد الخالد حافظ الأسد التاريخية لمدينة جبلة

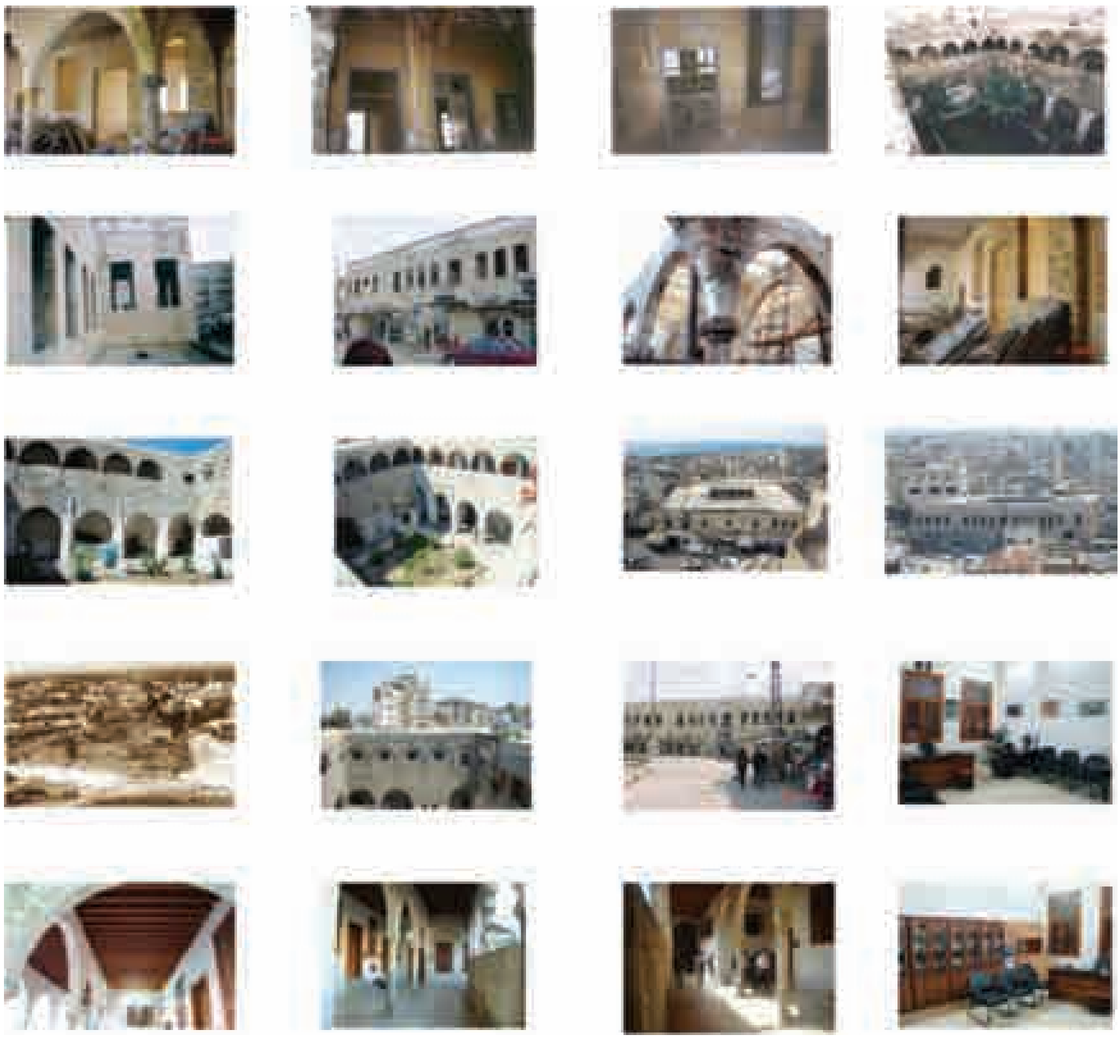
من أمام مبنى السرايا ١٩٧١/١/١٧



صورة لزيارة القائد الخالد حافظ الأسد التاريخية لمدينة جبلة ١٩٧١/١/١٧

تاريخ الترميم في السرايا مع صور توضيحية قبل وأثناء الترميم عام ٢٠٠٥ :

بقيت السرايا بدون ترميم وصيانة طارئة أو دورية على مر القرون الماضية حتى عام ٢٠٠٥ ، حيث تم ترميم القسم الأكبر من الطابق الأول. وفيما يلي مجموعة من الصور التي توضح السرايا قبل وأثناء وبعد الترميم الذي بدأ عام ٢٠٠٥، بالإضافة لمجموعة من المخططات التي تبين واقع السرايا قبل وبعد عام ٢٠٠٥.



مجموعة من الصور توضح مبنى السرايا قبل وبعد الترميم



مسقط الطابق الأرضي لمبنى السرايا بالوضع الراهن



مسقط الطابق الأول لمبنى السرايا بالوضع الراهن

يتألـف المبنى من كتلـة معمارية كبيرة تأخذ شـكل مستطيل مبني بحجارة رمليـة متوسطة الحجم مقطوعة بشكل جيد، تبلـغ مساحة المبنى ٢٠٠٠م٢ مؤلف مـن طابقـين. الطابـق الأرضي يحوي فنـاءً داخلياً يأخـذ شكل مستطيـل أبعاده ١٦×١٣ م وتحيـط به أروقة ذات أقواس، وفي الجهـة الغربية من الفناء الداخلي يوجد مدخل ثان للطابق الأرضي يؤدي نحو السيباط، ويتألف الطابق الأرضي من عدد من الأقبية المبنية بشكل عقود وقد استخدم القبو الجنوبي كإسطبل.

الطابـق العلـوي : يتم الصعـود إليه عبر درج ثنائي في الجهـة الشمالية، ينفتح على نفس الفناء الأرضي ومحاط من الجهات الغربية والشرقية والشمالية بأروقة مزينة بأقواس بسيطة في منتصف كل جهة، حيث يوجد قوس مزين بزخرفة نباتية، يتألف الطابق من عدد من القاعات مختلفة الأبعاد، تنفتح بأبواب ونوافذ كبيرة، يرتبط الطابق الأرضي مع العلوي بدرج يقع في الجهة الغربية.

أثرت طبيعة استخدام السرايا في إحداث تغيرات في البناء وتوزيع الفراغات وإضافات كتلية ساعدت على تشويه البناء منذ بداية القرن العشرين حتى نهايته، حيـث ظهر مفهوم الحفاظ على التراث بين عامـة الشعب، وقد وُضِعت تشريعات صارمـة من قبل الدولـة للحفاظ على التراث بشكل عام. لقـد توقفت التشوهات والتعديـات على البناء عند الحد الذي وصلت إليه في نهاية القرن الماضي، وتقوم دائـرة الآثار بإزالة التعديـات السابقة والمشوهة بتأمـين البديل للشاغلين حرصاً عليهـم وذويهم، كمـا تجري مراسلات عديـدة وذلك من أجل إخـلاء البناء من السجن المدني والمؤسسة الاجتماعية العسكرية.

أعمال السبر الأثرية في مبنى السرايا :

تم اختيار السبر في الجهة الجنوبية الغربية من المبنى ضمن سوق الصاغة بأبعـاد تناسب ظـروف العمل ضمن السوق. وأظهرت أعمـال التنقيب في الكشف عن السويات الأثرية التالية.

السوية الأولى : تعود للربع الأخير من القرن العشرين وتضم الطبقات التالية :

١- الطبقة الأولى : عبارة عن طبقة مؤلفة من بلاط حديث.

٢- الطبقة الثانية : طبقة من الإسمنت وضعت من أجل تماسك البلاطات.

٣- الطبقة الثالثة : طبقة من الرمل البحري مع نسبة كبيرة من الكلس.

٤- الطبقة الرابعة : عبارة عن طبقة من الرمل البحري.

٥- الطبقة الخامسة : طبقة من الإسمنت تحوي على نسبة كبيرة من الرمل.

٦- الطبقة السادسة : طبقة قليلة السماكة من الإسفلت.

٧- الطبقة السابعة : طبقة من الإسمنت تحوي على نسبة كبيرة من الحصى البحري الصغير.

الملاحظ في هذه السوية بأنها خالية من العناصر المعمارية، وهي عبارة عن طبقات حديثة مختلفة المواد وذلك حسب التقنيات المعروفة لرصف الطريق في هذه الفترة.

السوية الثانية : تعود للنصف الأول من القرن العشرين، تضم الطبقات التالية :

٨-الطبقة الثامنة : عبارة عن طبقة بنية مائلة للرمادي تحوي على نسبة قليلة من الحصى البحري الصغير الحجم، وعلى نسبة قليلة من الكسر الفخارية تعود للفترة العثمانية.

٩- الطبقة التاسعة : تقع في الجهة الغربية من السبر، عبارة عن أرضية رملية مدكوكة بلون أصفر قليلة السماكة، مؤلفة من طبقة الصخر المعروفة في الجهة الشمالية الغربية من مدينة جبلة (ضمن منطقة الجبيبات).

١٠- الطبقة العاشرة : وهي قناة مبنية من الإسمنت مختلطة مع الحصى البحري الناعم، تقع في الجهة الشرقية من السبر ملاصقة للجدار الغربي لمبنى السرايا تتجه شمال-جنوب، بطول أعظمي ٢،١٠ م وبعرض أعظمي ٥٥ سم، عرض القناة ٣٠ سم وبعمق ٢٧ سم.

تمثلت هذه السوية بوجود قناة مبنية من الإسمنت وذلك من أجل تصريف مياه الأمطار حسب نظام تصريف الشوارع المعروف خلال هذه الفترة.

السوية الثالثة : تعود للفترة العثمانية، وتضم الطبقات الأثرية التالية :

١١- الطبقة الحادية عشرة : عبارة عن تربة رطبة، بلون رمادي تحوي على نسبة قليلة من الحصى، عثر على بعض الكسر الفخارية، بينها كسرة تعود للعصر الهلينستي، وكسرة من الخزف وبعض الكسر تعود للفترتين المملوكية والعثمانية.

١٢- الطبقة الثانية عشرة : عبارة عن أرضية رملية مدكوكة قاسية بلون أصفر تتراوح سماكتها بين ٥-٨سم.

الملاحظ في هذه السوية بأنها خالية من العناصر المعمارية، وأنَّ المنطقة كانت مستخدمة كشارع خلال هذه المرحلة.

السوية الرابعة : تعود للفترة المملوكية، وتضم الطبقات الأثرية التالية :

١٣- الطبقة الثالثة عشرة: وهي عبارة عن تربة رطبة بلون رمادي تحوي على نسبة قليلة من الفحم، وعلى بعض الحصى البحري الناعم وبعض الحجارة الصغيرة.

١٤- الطبقة الرابعة عشرة : عبارة عن تربة بلون أحمر بسماكة ٥ سم

١٥- الطبقة الخامسة عشرة : عبارة عن قناة مبنية من الحجارة الرملية المتوسطة الحجم مبنية بشكل نصف قوس، مرتبطة بملاط من التراب الأحمر. بداية تأسيس جدار مبنى السرايا قائم على الجدار الشرقي للقناة، عرض ركيزة التأسيس ٢٨ سم، تتجه القناة شمال- جنوب وتنتهي في منتصف السبر، الواضح منها بطول ٨٥ سم باتجاه الشمال، بعرض ٥٥ سم، العمق غير واضح (الشكل رقم ٣، ٥، ١٠-١٢).

١٦- الطبقة السادسة عشرة: عبارة عن طبقة بنية مائلة للرمادي تحوي على نسبة قليلة من هباب الفحم وعلى نسبة قليلة من الحصى الناعم، تقع

في الجهة الجنوبية من القناة، عثر فيها على بعض الكسر الفخارية تعود للعصر الروماني والبيزنطي والأيوبي والمملوكي، بينها كسرة مزججة بلون بني مصفر، وعلى ضرس لحيوان عشبي، انتهت الطبقة على مستوى الصخر الطبيعي على عمق ٢٣٥ سم.

١٧- الطبقة السابعة عشرة : عبارة عن طبقة متوضعة داخل القناة، التربة بلون أسود رطبة (موحلة)، عثر فيها على عدد قليل من الكسر الفخارية.

تمثلت هذه المرحلة بوجود قناة مبنية من الحجر الرملي، ويبدو أن هذه القناة كانت تستخدم لجر المياه المالحة (صرف صحي)، وأنها كانت مبنية ضمن شارع يعود لهذه المرحلة.

النتائج الأثرية للسبر :

- إن موقع السبر ضمن سوق الصاغة الذي يعتبر جزءاً من مبنى السرايا يشكل معه وحدة معمارية مترابطة (سيباط)، وهو أحد العناصر المعمارية التي عرفت خلال الفترات المملوكية والعثمانية، ولهذا فإن مكان سوق الصاغة كان قد استخدم كشارع خلال الفترتين المملوكية والعثمانية، ومازال يستخدم كشارع حتى الوقت الحالي.
- استطعنا من خلال هذا السبر تتبع مراحل تأسيس المبنى والكشف عن الأساسات، فقد تبين بأن الأساس قائم على الصخر الطبيعي على عمق ٢،٣٥ م، وهو مستوى الصخر الطبيعي المعروف ضمن هذه المنطقة. حيث نجد بأن التأسيس تم على أساس جدار قائم على الصخر الطبيعي محفوظ على ثلاثة مداميك، يعود غالباً للعصور الكلاسيكية (الفترة الرومانية)، وتم إملاء بعض الفراغات ضمن الجدار بحجارة رملية متوسطة وصغيرة الحجم حتى ارتفاع ١,١٢ م، حيث تم وضع مدماك من الحجارة الكبيرة

والمتوسطة الحجم من أجـل التمهيد لوضع أول مدماك من جدران المبنى، حتى ارتفاع ١,٦٥ م، (الحجارة معاد استخدامها من مرحلة سابقة) .

- أساس البنـاء قائم على الصخـر الطبيعي وعلى أساس جـدار يعود لأحد المباني التي تعود للعصر الروماني، الذي استخدم كركيزة أساسية للجدار الشرقي للقناة خلال الفترة المملوكية.

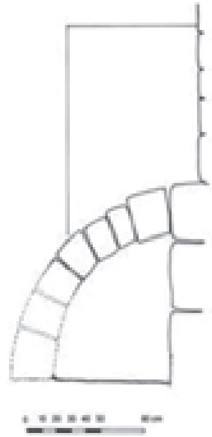
- من خلال تتبع طبقات السبر وبعض العناصر المعمارية للمبنى يمكن تأريخ بنـاء الطابـق الأرضي له للقرن السادس عشر الميـلادي، أما الطابق الأول فيعود لبداية القرن العشرين أي لنهاية الفترة العثمانية.



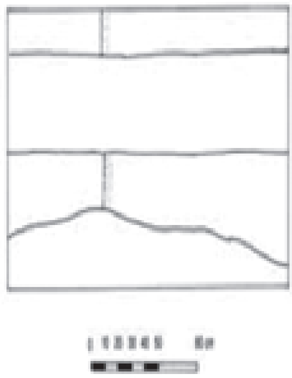
واجهة شرقية للسبر مع جزء من جدار المبنى



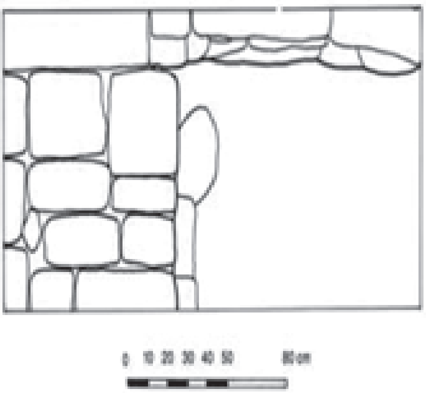
مقطع السبر من الجهة الجنوبية



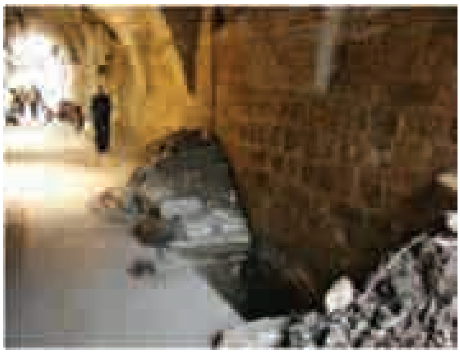
مقطع القناة الحجرية



مسقط القناة البيتونية



مسقط القناة االحجرية



موقع السبر



القناة البيتونية



مقطع القناة



داخل القناة

مخططات وصورتوضح السويات الأثرية للسبر



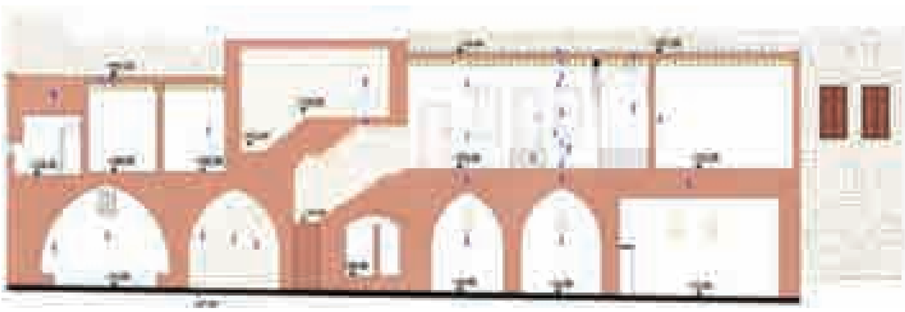
مسقط الطابق الأرضي لمبنى السرايا بالوضع الراهن مع طبيعة الاستخدام



مسقط الطابق الأول لمبنى السرايا بالوضع الراهن مع طبيعة الاستخدام



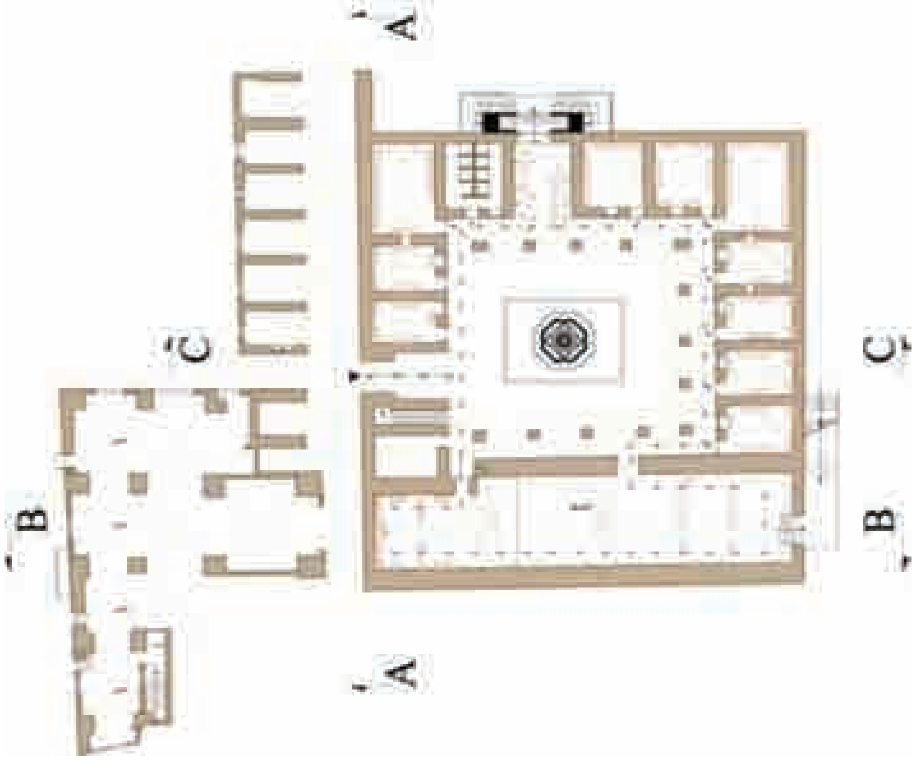
الواجهة الشمالية لمبنى السرايا بالوضع الراهن



مقطع شمالي جنوبي لمبنى السرايا بالوضع الراهن

إعادة تأهيل المبنى :

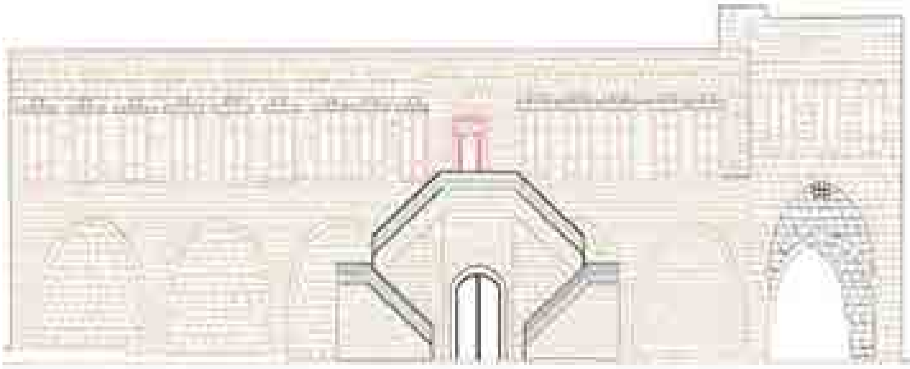
اقتراح مسار للزيارة بحسب تسلسل العرض المتحفي في قاعات المتحف من ركن الاستقبال وبيع البروشورات إلى غرفة عرض الفيديو لتاريخ جبلة ومعالمها الأثرية، ثم تسلسل قاعات العرض حسب الفترة اليونانية والرومانية والبيزنطية والمملوكية والعثمانية بالإضافة لبوفيه صغير وخدمات صحية مع جناح للأطفال يقومون فيه بالتدرُّب على صناعة الفخار وعرض منتجاتهم بشكل دوري لبناء وتعليم جيل يدرك أهمية الإرث الثقافي مع تخصيص قسم للمخبر الفني لصيانة وترميم القطع البسيطة في الطابق الأول، تصغير الحديقة المحدثة داخل الفناء الداخلي إلى حجم يتناسب مع حدائق الأفنية القديمة.



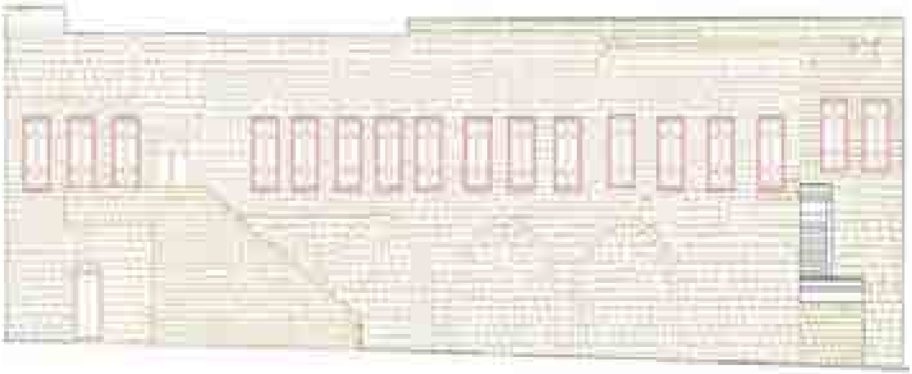
مسقط الطابق الأرضي المقترح مع الفرش



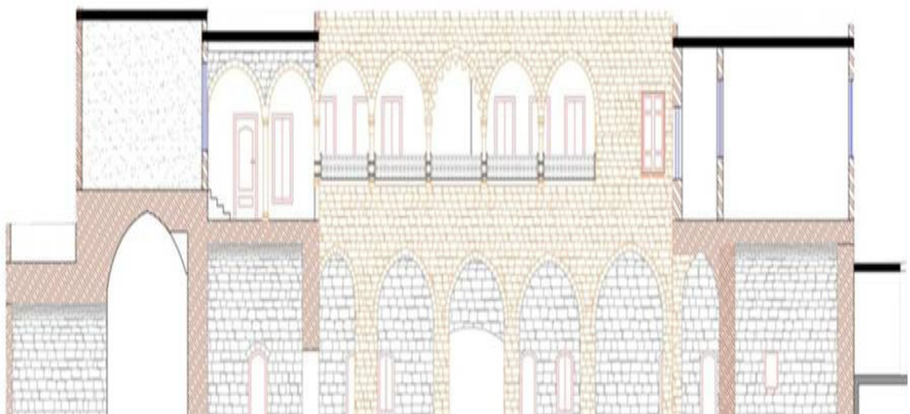
مسقط الطابق الأول المقترح مع الفرش



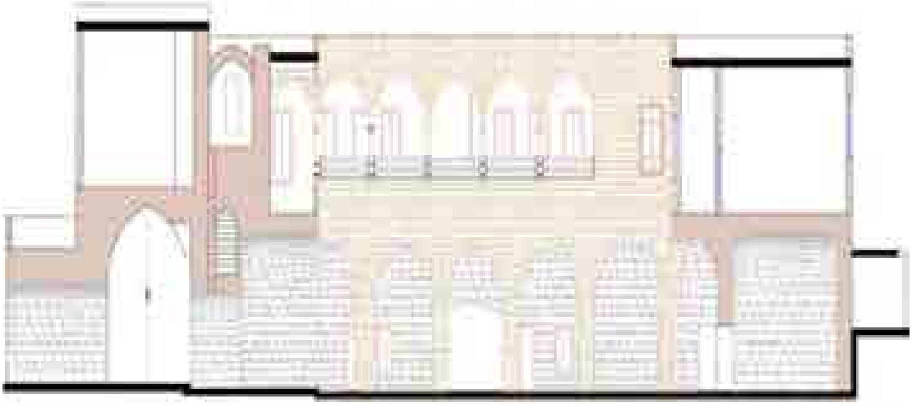
الواجهة الرئيسية الشمالية



الواجهة الشرقيّة



مقطع ١ – ١



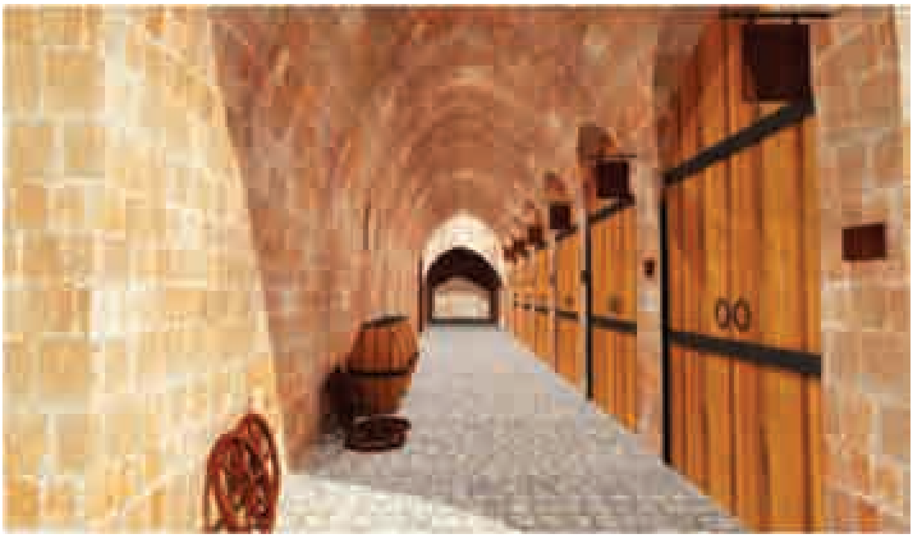
مقطع C – C



منظور عام لمبنى السرايا



منظور للساحة الداخلية لمبنى السرايا



منظور للسيباط



منظور لإحدى القاعات

في الطابق الأرضي لمبنى السرايا



منظور توضيحي للطابق الأرضي من الزاوية الجنوبية الشرقية



منظور توضيحي للطابق الأرضي من الزاوية الجنوبية الغربية



منظور توضيحي للطابق الأول من الزاوية الجنوبية الشرقية



منظور توضيحي للطابق الأول من الزاوية الغربية الشمالية

الميناء الفينيقي

عبارة عن ميناء طبيعي صغير يأخذ شكلاً مستديراً، يقع في منتصف شاطئ المدينة القديمة ومحاط بها، يتألف من مدخل رئيسي وحوض داخلي مفتوح مباشرة باتجاه الغرب، الجهة الشمالية من المرفأ مميزة بمرتفع صخري كانت فيه بقايا برج قديم، وعلى الجرف بعض المغاور المنحوتة كانت تستعمل كمستودعات أو غرف خدمية للصيادين، ومازال الرصيف الشمالي محافظاً على شكله، تشير الوثائق التاريخية إلى ترميمه خلال الفترة الصليبية، وذلك عندما سيطر الصليبيون على جبلة بقيادة ريموند دو سان جيل **Raymond de Saint-Gilles** سنة ١٠٩٨.

أما الرصيف الجنوبي فهو عبارة عن شبه جزيرة صغيرة، كان مجهزاً ببعض التحصينات، وعليه بعض الأعمدة من الغرانيت وآثار نحت بعض المستودعات. وقد أزيلت بعض آثار هذه التحصينات أثناء بناء أرصفة وحاجز أمواج الميناء الحديث وطمر بعضها الآخر.

تم الكشف على بقايا حمولة سفينة قديمة تحمل قواعد مربعة كبيرة ومجموعة من الأعمدة مختلفة الأطوال والأقطار عند منتصف نهاية المدخل الرئيسي للميناء.

وهذا يؤكد على استخدامه خلال العصور الكلاسيكية وفي الفترات الإسلامية، وربما استخدم أيضاً قبل ذلك إذ عرف بالميناء الفينيقي، وقد أكدت

أعمال البعثة الأثرية الدانماركية العاملة في تل سوكاس عام ١٩٥٨-١٩٦٣ احتمال وجود معبد في منطقة الكتلة الصخرية، كما تأتي أهمية الميناء من خلال ارتباطه المباشر مع موقع المصيطبة الواقع جنوب شرق الميناء، وتؤكد الأسبار التي نفذت في هذا الموقع على وجود سويات أثرية تعود للألف الأول قبل الميلاد والقرون الميلادية الأولى وبعض الفترات الإسلامية، وتؤكد الكسر الفخارية التي تم جمعها من حوض الميناء على الدور الذي قام به في عمليات الاستيراد والتصدير مع دول حوض البحر المتوسط عبر العصور.



صور جوية توضح الميناء الفينيقي

مع تل المصيطبة والجوار



صورة توضح حوض الميناء الفينيقي مع بعض الزوارق عام ١٩٢٩



لوحة فنية بريشة الفنان الدانماركي إيكنارفوكمان
للميناء الفينيقي٢١/١١/١٩٥٨



صورة توضح حوض الميناء الفينيقي مع بعض الزوارق عام ١٩٦٦



صورة توضح حوض الميناء الفينيقي عام ١٩٥٨

جامع السلطان إبراهيم بن الأدهم

ثمة علامة فارقة هامة جداً تميز جبلة تماماً كما يميز المسجد الأموي مدينة دمشق، أو كما تميز قلعة حلب مدينة الشهباء وبلا شك، فإن جامع السلطان إبراهيم بن أدهم هو ما يميز جبلة، حتى إنها سميت جبلة الأدهمية نسبة له. فمن كان هذا الرجل الصالح؟

هو إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر بن ثعلبة بن سعد بن عُرينة بن أسامة بن ضبيعة بن عجل بن صعب بن علي بن بكر بن وائل؛ أبو إسحق التميمي العجلي.

يروي ابن بطوطة أن أدهم قد تزوج بنت سلطان بلخ لأنها كانت تنفر من الأمراء، وكانت ترغب الزواج من رجل يتصف بالورع والتقوى، فكان إبراهيم ثمرة هذا الزواج، ثم توفي أدهم عندما كان ولده صغيراً فورث عرش الملك عن أبيه.

ولد إبراهيم بن أدهم في بلخ (أفغانستان) حوالي سنة ١٠٠ للهجرة أي سنة ٧١٨ للميلاد وترعرع في بلاط قصر بلخ واستلم الملك بعد وفاة جده لأمه لأن هذا الأمير لم يعقب من يخلفه سواه.

أما عن أسباب زهده، فلدينا أيضاً عدة روايات أشهرها ما أورده الإخباري الدمشقي ابن عساكر، وخلاصتها أن نداءً غيبياً ناداه فيما هو خارج للصيد مع أصحابه قائلاً: يا إبراهيم! أفحسبتم أنا خلقناكم عبثاً، وإنكم إلينا لا ترجعون (لقد خلقت لحياة الزهد والدعاء للخير، ولم تخلق لحياة الترف والرفاهية) ثم

عــاوده نداء ثــان. فشد لجام فرسه ووقــف حائراً من شدة الجــزع، وإذا بالنداء يتكرر مرة ثالثة، فآمن آنئذ أنه صوت الحق ونذير من رب العالمين. فرجع إلى أهله وألقى حُلَلَ الإمارة وحُليها وأخذ أطمارهُ ولفّ جسمه بها وهام على وجهه.

رحل إبراهيم بن أدهم من بلخ إلى العراق ومكة ودمشق وحمص وطرطوس وأنطاكيــة حتى استقر في جبلة، إلى وفاته عــام ١٦١ هجري أي عام ٧٧٧ميلادي ودفن فيها.

يقع جامــع السلطان في الشمال الشرقي من المدينــة القديمة ويشكل الحد الشمــالي الشرقــي لهــا. وهو مبني مــن الحجر الرملــي ويحتوي علــى ست قباب متفاوتة الأحجام وأكثر الكتابات الموجودة داخل المسجد تشير إلى استكمال بنائه في العصر المملوكــي، ومن ثم في العصر العثماني. وفي عهد القائد الخالد حافظ الأســد أعيد بناء مئذنته عــام ١٩٧٦بعد أن هدمتها صاعقة عام ١٩٧٤، كما أعيد ترميم الجامع مع إضافة بعض غرف الخدمات عام ١٩٨٤.

أما النصوص والكتابات المذكورة على جدران الجامع فهي موزعة على عدة لوحات حيث توجد اللوحة الأولى على الحائط الخارجي لغرفة الضريح إلى يمين الباب، والكتابة عبارة عن بيتين من الشعر، هما:

قــد أنـــال إبــراهــيــم مــن ربــه ... مـــــا نــــــال مـــــن قــلــبــه

الــنــاســ تــأتــي إلى بــابــه ... ويــطــعــمــون الــطــعــام عــلــى حبه

ونقرأ على طرف هذا النص كلمة بطل وكلمة شجاع، وهما تشكلان التاريخ الحرفي لبنــاء الغرفة، وكانت هذه الطريقة مستعملة قبل اعتماد التاريخ الشعري المعروف. وهكذا يعود البناء إلى سنة ٤١٥هـ ١٠٢٤-١٠٢٥م أي إلى ما قبل الحروب الصليبية. وليس في النص إشارة إلى اسم الباني أو المشرف على البناء.

نرى اللوحة الثانية في الجــدار الشرقي المفتوح على حرم الصلاة والمجاور لغرفــة يوجد فيها قبر كبير قد يكون قبر إبراهيم بن أدهم أما اللوحة ففيها ستة أسطر، بخط الثلث المتداخل، نقرأ فيها ما يلي:

«بسم الله الرحمن الرحيم إنَّا لا نضيع أجر من أحسن عملاً» (سورة الكهف، آيـة ٣٠) أنشـئ هذا المـكان المبارك في أيـام مولانا المقر الإشـراف العالي المولي الكافلي السيفي، طرغاي الصالحي كافل المماليك الطرابلسية أعز الله أنصاره، وذلك بإذن العبد الفقير إلى الله تعالى، عز الدين أيبك بن عبد الله الدودار من مالـه، أثابه الله ، ابتغى به وجه الله والدار الآخـرة سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة (٧٤٣هـ ١٣٤٢-١٣٤٣م) وتـولى عمارته الفقـير إلى الله تعالى أبـو بكر عثمان الهـكاري. يدلنا تاريخ اللوحة إلى أن هذا الإيوان في العصر المملوكي، خلال حكم السلطان الناصر عماد الدين إسماعيل ونيابة طرغاي الصالحي على طرابلس.

تقع اللوحة الثالثة على العمود الغربي في حرم الصلاة وفيها ثمانية أسطر. إن قراءتها بكاملها متعذرة لما أصابها من تلف، لكن يمكن قراءة العبارات التالية: بسـم الله الرحمن الرحيم أنشأ هذه البركـة والبلاطة٠٠الفقير إلى إحسان الله المقر العادل الأشرفي.

في هـذا النص إشارة إلى إنشاء بركة ماء ضمن المسجد و كان ابن بطوطة قد تحدث عـن بركة شاهدها في زاوية الجامع عندما زار جبلة، أما التاريخ فقام بقراءتـه العـالم والرحالة فـان بيرشـم Van Berchem عـام ١٨٩٥ عندما زار الجامع، وهو سنة ٧٥١هـ ١٣٥٠-١٣٥١م فتعود اللوحة إذاً إلى العصر المملوكي.

أمـا اللوحة الرابعة فتقع في الجـدار الشمالي من المسجـد، و فيها البيتان التاليان:

وفي عـام تسـعين مـع تسعمائة ... وأربـــع سـنين قـد مـضـين تمام

مـقام ابـن أدهـم قـدس الله سره ... تـكمـل في خـير وحـسـن ختام

نلاحظ أن التاريخ (٩٩٤هـ١٥٨٥م) ذُكر فيها كتابة بدلاً من طريقة التاريخ الشعري، فاللوحة تعود إلى مطلع العصر العثماني.

إلى يسـار هذه اللوحة نرى قطعة رخامية مدورة مثبتة في الجدار كتب فيها

اســم (علي) مكرر أربع مرات متداخلة بشكل هندسي، وإلى جانبها كُتبت بخط الثلث المتداخل العبارة التالية: عمل المعلم سيف ابن المعلم الزين.

اللوحة الخامسة موجودة في ركن من المسجد وهي لوحة رخامية غير مثبتة في الجدار، كُتب عليها ستة أسطر، نورد منها ما يمكن قراءته:

اللّه حـق أنشأ هذه القبـاب الأربع في هذا المكان الراجـي عبد الملك المنان الحاج عبد القادر المتولي بالمقـام الشريف ومباشرة محمد بن إبراهيم الضعيف كتب التاريخ بالأرقام ٩٩٤هـ ١٥٨٥-١٥٨٦ ويعود إلى مطلع العصر العثماني.

نشاهـد اللوحة السادسة على الجدار الشرقـي لغرفة الضريح و نقرأ فيها الأبيات التالية:

بحمد الله والهادي المعظّم	**وأسرار الولي طرز معلّم**
تكمل ذا البنا في خير عام	**ومتولّي المقام رقى مكرَّم**
وعبد القادر الراجي ثواباً	**وغفراناً له والله أعلم**
برمضان المعظّم جاء تاريخ	**إتمام مقامك إبراهيم بن أدهم**

تاريـخ الكتابة (٩٩٤هــ ١٥٨٦م) هووفق التاريخ الشعـري، وهي من أوائل العصـر العثمـاني، فيهـا إشارة إلى أن متـولي المقام هو الحاج عبـد القادر. إلى جانبهـا لوحة أخـرى خالية من التاريخ كُتبت عليها الآيـات القرآنية التالية: بسم اللّه الرحمن الرحيم «إنما يَعمر مساجد اللّه من آمن باللّه واليوم الآخر » (سورة التوبة، الآية ١٨).

تقـع اللوحة السابعـة على الحائط الجنوبي عند المدخـل الجنوبي، وتحوي ثلاثـة أسطر كتب فيها ما يلي:بسم اللّه الرحمن الرحيم أنشأ هذا المكان المبارك المعمـور بذكر اللّه، مولانـا الحاج أبو إسماعيل بن عزمـت سدد اللّه ...وخلد اللّه ..في شهـر ربيـع الأول سنة سبـع وألف من الهجـرة (١٠٠٧هـ١٥٩٨م).تعود هذه اللوحة إلى بدايات العصر العثماني، إلى زمن السلطان محمد الثالث.

بنــاء على ما تقــدم يتبين أن أقدم لوحة في الجامع تعود إلى ٤١٥هـ ١٠٢٤-١٠٢٥ م أي إلى مــا قبل الحروب الصليبية، وهي لا تشير إلى اسم الباني. وهناك لوحتــان من العصــر المملوكي، الأولى تاريــخ ٧٤٢هـ ١٣٤٣م وذلــك في أيام نيابة طرغــاي الصالحــي على طرابلس والثانية تاريــخ ٧٥١هــ ١٣٥٠-١٣٥١م وفيها إشــارة إلى إنشاء البركــة والبلاطة في الجناح الشمالي مــن الحرم.أما اللوحات الأربــع الباقية فهي تعود إلى مطلع العصر العثمــاني، ثلاث منها إلى سنة ٩٩٤هـ ١٥٨٥- ١٥٩٦م.

يأخــذ الجامع شــكلَ مستطيل باتجاه شــرق غرب ، وتبلغ أبعــاده ٩٥×٧٥ مــتراً تقريبــاً، ويقع المقام في الجهــة الجنوبية الشرقية مــن الجامع ضمن غرفة لهــا قبة ومحراب، ويحوي المصلى على منبر ومحراب مبنيين من الرخام مزينين بالزخــارف الهندسيــة، ونوافذ كبيرة زيــن إطارها الخارجي بزخــارف هندسية بالإضافــة لنوافذ صغيرة مزينة بالزجاج المعشق، في الجهة الشمالية من المصلى يوجد قبران أحدهما لوزير السلطان، وتوجد في الجهة الغربية من الجامع مئذنة أسطوانية الشكل يغلب عليها الطابع العثماني.

ويبدو أن الجامع بني على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: بناء غرفة الضريح وتعود للمرحلة السلجوقية.

المرحلــة الثانية: وفيها تم بناء المسجــد والمنارة والبركة والبلاطة والبوابة وأخذ الجامع أبعاده القريبة من الوضع الراهن وتعود للفترة المملوكية.

المرحلــة الثالثة: المرحلة العثمانية، حيث تم إنشاء القباب الأربع الرئيسية في حرم الجامع وترميم الواجهات وتجديدها مع النوافذ والأقواس على الواجهات وتجديــد المنارة الحاليــة أيضاً لتأخذ شكل المــآذن العثمانيــة الأسطوانية المدببة بارتفاع ٢٦م، إلا أن المئذنة القائمة الآن أقل ارتفاعاً ورشاقة من القديمة.

وفي العهــد العثماني أنشئت خلــف شجرة السرو المعمرة والتي يزيد عمرها عــن ألف عام غرف معدة للمطابخ ومستودعات مؤونــة أقيمت فوقها غرف ذات قباب أقام فيها عسكر الإنكشارية.

أم السلطان إبراهيم :

وتعود لجامع السلطان إبراهيم ملكية أراض مترامية أطلق عليها اسم وقف السلطان إبراهيم، والرواية المتداولة في جبلة حولَ منشأ هذه الأملاك هي التالية : عندما تخلى إبراهيم عن ملكه خرجت أمه تبحث عنه في محاولة منها لإرجاعه إلى بلخ وقد حملت معها مالاً كثيراً ظناً منها أنها بذلك تستطيع دفعه للعدول عن حياة التشرد التي اختارها لنفسه، وبعد بحث طويل وجدته في جبلة فحاولت إقناعه بالرجوع إلى بلده، وفي القصيدة الموضوعة باللغة العامية تقرأ حواراً مؤثراً وطويلاً بين الأم والابن حول هذه المحاولة، ولكن إبراهيم ظل صامداً لا يتزحزح عن قراره، فلم تتمكن أمه في يوم من الأيام من التغلب عليه، فمكثت لبعض الوقت في جبلة. وكان أن وافته منيته في أثناء إقامة والدته في المدينة، ورغبت الأم أن تخلد اسم ابنها فاشترت بما كانت تحمل من مال أراضي مترامية وقفتها للمقام الذي نهض عند الضريح، وذلك على حدّ قول أهالي جبلة، والتي حملت اسم وقف السلطان إبراهيم، وقد ازدادت مع مرور الزمان بما قدم من هبات أضيفت إلى الأملاك الأصلية مع العلم أنه في أوائل الخمسينيات عندما جرت تصفية الوقف المذكور بيعت الأملاك بالمزاد العلني أو بالتراضي إلى أشخاص عديدين فأصبحت أملاكاً خاصة للشارين ويقول عرف شفوي بأن أم إبراهيم قد غادرت جبلة بعد وفاة ولدها واستقر بها المقام في اللاذقية حيث وافتها منيتها ويثبت هذا العرف القصيدة باللغة العامية بهذا البيت: «وبالوقت نحو اللاذقية توفت عليها من الرحمن ألف سلام» وفي اللاذقية يشيرون إلى المنزل الذي يفترض أنها سكنت فيه وإلى القبر الذي يظن أنها دفنت فيه، ويقول إلياس صالح :«و في اللاذقية مزار اشتهر أنه قبر أم إبراهيم بن أدهم و الله أعلم».

أما منزل أم إبراهيم، فيقال أنه أصبح مقر التكية التي بنيت قرب ضريحها في زمن السلطان عبد العزيز. إن بناء هذه التكية كان جميلاً جداً ولكن لا يوجد مع الأسف، صورة له ودراسة عنه. لا نعرف سوى أنه كان يعلو بابه تاريخ شعري يبدأ بالعبارة التالية:«دار تدور بها البدور»، مع العلم أن القبر والتكية غير موجودين حالياً وإنما يوجد بقايا جدران من التكية.

إن عبد الغني النابلسي الذي زار اللاذقية بتاريخ ١٠ تشرين الأول ١٦٩٣ يكتب في رحلته ما يلي :«ثم ذهبنا إلى زيارة والدة السيد إبراهيم بن أدهم قدس

الله سرهمـا، علـى ما هو مشهور عنـد أهل تلك البلاد. فدخلنـا إلى مزارها بين البساتين وعند رجليها شجرة ميس كبيرة وقبالتها محراب كبير عال وليس عليها عمارة أصلاً وقد ذكر لنا بعض الناس أنهم عمروا عليها مراراً عمارات فلم تقبل فإنهـا زهدت في الدنيـا بعد موتها ووجدنا عند قبر والدة السلطان إبراهيم رجلاً يخدمـه من الدراويش الصالحـين الفقراء،الدرويش محمد، وهو رجل من الكبار المعمورين المجاورين في ذلك المكان و عليه أثر الهيبة والصلاح والخشية والنجاح فجلسنا عنـده وتكلمنا معه وحصلنا على بركته».والجديـر بالذكر أن اسم والدة إبراهيـم بن أدهم بقي مشهـوراً باللاذقية فهذا نبع يعرف باسم عين أم إبراهيم يقـع على بعـد حوالي ٦٠٠ متر إلى الشمال من القبر والتكيـة، كما أن الناس حتى اليوم يطلقون على الحي بكامله اسم حي عين أم إبراهيم.

الأسطورة وسمك السلطان :

تشتهـر مياه البحـر على الساحل السـوري بوجود العديد مـن الأسماك، لكن وحدها سمكة السلطان إبراهيم أو السلطاني تحظى بكثير من التدليل والاهتمام بين السوريـين، والسبب ليس لأنها الأثمن أو الأشهى، بـل لأسطورة عمرها مئات السنين تناقلتها الأجيال، ومفادها أن إبراهيم جلس مرة على شاطئ جبلة يرتق ثيابه فسقطت الإبـرة من يده وبعد قليل خرجـت سمكة وفي فمها الإبرة التي سقطت وإحدى عينيها قـد فقئت، فسألهـا السلطان إبراهيم عن سبب ذلك فروت له ما حدث في قاع البحر عندمـا سقطت الإبرة، حيـث تصارعت مخلوقات البحر للظفـر بالإبرة لإعادتها له فلمـا أخذتها السمكة لطمها أحد الحيتان فقلع عينها فما كان من السلطان إبراهيم إلا أن مسح بيده عين السمكة فعادت سليمة، وقال لها: اذهبي فلحمك حرام عليّ ومن يومهـا سمي هـذا السمك باسم السلطان إبراهيم، فيما روايـة ثانية لهذه الأسطورة يرويهـا الحكواتيـة وكتّاب السير الشعبيـة وتقول: إن السلطـان إبراهيم كان في أحد الأيـام يتضـور جوعاً فجلسـ أمام شاطئ جبلـة، ومع غروب الشمسـ فوجئ بسمكة تقفـز مـن البحر وتتوضع أمامه فمسكها ليأخذها معـه كصيد جاء لوحده، لكنه بعد برهة تركها قائلاً لها: عودي إلى البحر فأنت حرة طليقة وحرام علي تناولك. وهكذا صار صيادو جبلة ينادونها منذ ذلك الوقت باسم سمكة السلطان إبراهيم، ومن هنا جاءت شهرة هذه السمكة التي تباع في أسواق اللاذقية الخاصة بالسمك.



صورة جوية للجامع من الجهة الشمالية الشرقية عام ١٩٣٩



لوحة فنية بريشة الفنان الدانماركي إيكنارفوكمان

لجامع السلطان ابراهيم ١٧/١٠/١٩٥٩



صور جانبية للجامع عام ١٩٦٢



صور جانبية للجامع عام ١٩٦٦



جامع السلطان إبراهيم عام ٢٠٠٦



صحن الجامع



صحن الجامع



المسقط الأفقي لجامع السلطان ابراهيم

الجامع المنصوري الكبير

كما في كل مدن الشاطئ الشرقي للمتوسط تجد الأسلوب المملوكي طاغياً تاركاً آثاره في المكان بعد الزمان، هكذا تبدو جبلة القديمة للوهلة الأولى مدينة عربية كأنها تعيش في العهد المملوكي، على الرغم من طول العهد العثماني الذي تلاه وجثم أربعمائة سنة فوق كاهلها. ولم يترك من بصمات تذكر. فآثار جبلة القديمة الرئيسة: جامع السلطان إبراهيم بن أدهم، وزاوية الحموي والأزقة والأسواق والقناطر والمحال كلها مملوكية ومنها أثر تاريخي يهم دارسي تاريخ العمران ويقصد به الجامع المنصوري الكبير.

وهذا الأثر له قيمة تاريخية فائقة لم تكشف، فهو من أهم المساجد في الساحل السوري وأقدمها، ويحتفظ على جدرانه الخارجية والداخلية بسبع لوحات لنصوص تسجيليةعليها كتابات تاريخية عربية بخطوط مختلفة تؤرخ لإنشائه وتجديده وترميمه وما أضيف إليه من أروقة وتوسعات. ولا شك في أن التوصل إلى قراءتها سيرفد البحث التاريخي، ويقدم معطيات جديدة لدارس تاريخ ساحل الشام ومدن شرقي الشام ومدن شرقي المتوسط ابتداء بجبلة واللاذقية وانتهاء بطرابلس، لأن للتاريخ العمراني أهمية لا يستهان بها فهو من فروع التاريخ و يوليه الباحثون أهمية فائقة لأنه قد يحسم خلافاً بين المؤرخين.

ويرقى الجامع المنصوري الكبير بجبلة بصورته القديمة - التي زال معظمها - إلى سنة ١٠٩٥م بحسب كتابة كوفية أثرية نافرة ملموسة المعالم متعثرة القراءة، تشير إلى ذلك كتابة منقوشة على لوحة أثرية حجرية مثبتة في الجدار

علــى يمين الداخل إلى بيت الصلاة. وربما أعيد تركيبها بعد أن بني المسجد بناء جديداً في العهد المملوكي فيما إذا اعتمدنا الأدلة التاريخية.

وهذا الجامع قد شيد في عهد قاضي جبلة أبي محمد عبيد الله بن منصور التنوخي. الذي استقل بحكم جبلة بين سنتي ٤٧٣-٤٩٣ هجري.

والأرجـح أن المسجد قد بني بصورتـه الأولى على أنقاض كنيسة بيزنطية، شاميـة الطـراز، لأن التنوخيـين آنـذاك استولوا على مـا خلّفـه البيزنطيون من أمـوال وأبنية بعـد رحيلهم. كما يرجح أن قاضي جبلة أبـا محمد عبيد الله دفعه طموحـه إلى أن يصبح الحاكم الفعلي لجبلة. عندمـا أقام الخطبة العباسية بعد طـرد البيزنطيـين والتخلص من نفـوذ بني عمار أصحاب طرابلـس ويعضد هذا الـرأي أدلة تاريخية ومعمارية وكتابية أكثرها وجاهة الدليل الذي يتصل بالكتابة شبـه الكوفية التي تشـير لسنة إنشائه. فاصطناع الخط الكـوفي مجاراة للتقاليد العباسيـة وأخذ بأنماطها. وعندما استرجع صاحب طرابلس فخر الملك بن عمار جبلة سنة ٤٩٤ هجري (١١٠١ م) وجه إليها الأديب العالم ابن النقار الحميري فولي في مسجدها هذا – على الأغلب – الخطابة والصلاة والوقوف للقضاء. غير أنـه بعد احتـلال الصليبيين لجبلة سنة ٥٠٣ هجري اغتصبوا المسجـد و حولوه إلى كنيسة لاتينية، ولا تزال الآثار بادية على المئذنة – البرج، فقد ترك مهندسو الفرنجة طابعهم اللومباردي في البرج القائم حالياً بأعلى المدخل الشمالي للجامع. ولم يعبث الصليبيون بالنقش الكتابي الـذي يؤرخ للمسجد ليكون حسب زعمهم شاهداً ماثلاً يـدل على انتصارهم على بانيه. الذي لم يكـن في الحقيقة إلا اغتصاباً، خاصة وأن قاضي جبلة كان قد أجهز على نحو ثلاثمائة رجل من أعيانهم و شجعانهم في إحدى المعارك وأسر مقدمهم في معركة أخرى.

وبفتـح صلاح الديـن الأيوبي لجبلة عـاد المسجد لأهله عربيـاً فأقيم بيت الصـلاة في نطـاق جـدران الكنيسة. وأفـاد مهندس الجامع مـن برجها فاتخذه مئذنة للجامع بعد أن انتزع منه النواقيس. والجامع في تكوينه الحاضر بناء أيوبي – مملوكـي لا أثـر فيه للتأثيرات الصليبية، ومما يدل على جِدَّة البناء أن مئذنته

منفصلة عن بيت الصلاة، بينها وبينه الصحن، بينما كان برج الكنيسة يعد عضواً حيوياً ضمن وحدات الكتلة المعمارية العامة.

وتخطيط الجامع يتبع النظام القديم للمساجد الجامعة، وهو مشيَد بالحجر المنحوت، وله بوابتان كل منهما ذات مظلة مكونة من عقد نصف دائري. البوابة الرئيسة في الطرف الشرقي والجانبية في الطرف الشمالي، وبينهما صحن مربع مكشوف إلى السماء مفروش ببلاط حجري رملي نحت. ويقع في الجهة الجنوبية منه بيت الصلاة، وهو عبارة عن رواق مستطيل الشكل قائم عبارة عن عشرة عقود نصف دائرية بديعة، وله قبة ترتكز على أربعة عقود ذات مقرنصات زخرفية غير متناظرة و بداخله محراب، وإحدى عشرة نافذة، وبابان خشبيان، ويكتنف الصحن من الجهة الغربية مجنبة ذات ثلاثة عقود بداخلها الموضأ. وبالجهة الشرقية مجنبة من ثلاثة عقود، الثالث منها يحتوي الباب الرئيسي والعقدان الآخران مسدودان ومخصصان للسكن، وفي الجهة الشمالية عقدان مسدودان ومخصصان للسكن.ويحد الجامع من الشمال زقاق ضيق، ومن الشرق زقاق آخر يفصله عن حمَّام التصاوير الأثري بقبته الشاهقة، ومن الجنوب زقاق تعلوه دعامات لجدار المسجد، ومن الغرب بيوت سكنية. وله مئذنة عالية الأضلاع تعلوها شرفة الجوسق العلوي المغطى بقبة ذات طراز هندسي أيوبي، ويلفت الانتباه في هذه المئذنة المتناسقة أنها تحوي في طرفها الجنوبي نجمة تزيينية مفرغة وبعض الطيقان. والجدار الجنوبي (القبلي) للمسجد مدعوم من خارجه بخمسة أقواس حجرية على شكل ربع دائرة يمر الطريق تحتها، ولا تتماسك أطراف حجارتها بالجدار أو تتعشق به بل تلامسه من دون تراكب أو ملاط، والغاية من هذه الدعامات السّائدة تخفيف وطأة الزلازل على بناء المسجد وحفظ جداره الرئيسي من السقوط، خاصة وأن الزلازل ضربت جبلة مراراً خلال العهود المتتابعة وغيرت معالم بعض أبنيتها.وثمة كتابات متعددة على جدران الجامع لعل من أهمّها نقش مملوكي تاريخي مسجل على لوحة من الحجر مثبتة على جدار بيت الصلاة بالقرب من بابه، مساحتها ٧٣×٤٨سم^{٢} ويتألف النقش من خمسة أسطر من الخط النسخي الصغير مكتوب فيه :

السطر الأول : بسم الله الرحمن الرحيم ، عُمِّر هذا الرواق المبارك والبوَّابة في

السطـر الثـاني : أيَّام مولانـا السلطان الملك الناصر ناصـر الدنيا والدين محمد بن قلاوون الصالحي.

السطـر الثالـث : خلَّد الله ملكـه بإشارة المقـر الأشرف السيفـي أرقطاي الناصري نائب الفتوحات .

السطـر الرابـع : الطرابلسيَّة أعزَّ الله نصره وشـاده الفقير إلى رحمة ربّه أبو بكر بن العديمي.

السطـر الخامس : نائب المنطقة بتاريـخ مستهل شوال سنة إحدى و أربعين و سبع مائة للهجرة.

و معنى هذا أن رواق المسجد أضيف في عهد الدولة المنصورية التي أسسها السلطـان المملوكي الملـك الناصر محمد بن قـلاوون في أثناء ولايـة سيف الدين أرقطـاي بن عبـد الله المنصوري على طرابلـس سنة ٧٠١هجـري وكان أرقطاي المنصـوري قد تولى نيابة طرابلـس والفتوحات الساحلية بما فيها اللاذقية وجبلة بـين ٢٣ محرم ٧٤١ و شعبـان ٧٤٢ هجري بدلاً من الأمـير طينال الحاجب الذي رفّع إلى نيابة دمشق و كانت العامة تلفظ اسمه – رقطاي- بدون همزة، ولما تولى السلطـان النّاصر شهاب الديـن أحمد بن الناصر محمد السلطنـة بعد أبيه أمر بالقبض على أرقطاي وسجنه بالقلعة حيث توفي في سنة ٧٥٠ هجري . أما تسمية هذا الجامع بالمنصوري فترجع إلى احتمالين :

الأول : إن بـاني رواقه نائب الفتوحـات أرقطاي ملقب بالمنصوري لأنه كان من مماليك الملك المنصور قلاوون الصالحي فعرف الجامع باسمه.

الثـاني : سمـي الجامع بالمنصـوري نسبة للملك المنصـور قلاوون مؤسس الدولة المنصورية التي توالى عليها بعده أبناؤه وأحفاده، وثمة عدة جوامع في مدن السـاحـل الشامي تطلق عليها هذه التسميـة دون أن يكون المنصور قلاوون بانيها؛ ففي اللاذقية الجامع المنصوري الكبير بناه الظاهر غازي الأيوبي غير أنه اكتسب تسميته بالمنصوري بعد تحرير اللاذقية. وفي طرابلس الجامع المنصوري.

إن تسمية الجامع بالكبير تذكرنا دفعة واحدة بالعديد من الجوامع الكبرى في العديد من المدن السورية.فهذه الجوامع الكبرى كلها بدون استثناء سبق لها أن كانت كاتدرائيات أو كنائس كبرى في المدن المعنية، وقبل أن تكون هذه الكاتدرائيات،كانت تقوم قبلها معابد وثنية قبل المسيحية. وهذا الكلام ينطبق على المسجد الأموي الكبير بدمشق والجامع الكبير في حلب الشهباء وعلى الجامع الكبير بحمص والجامع الكبير بحماةومثله في معرة النعمان.

وإن لم تتوافر الأدلة الأثرية على قيام الكنيسة الكبرى قبله على هذا الموقع في جبلة،فإن عدة أمور تؤيد هذا الاحتمال وتجعله قائماً إلى حين إثباته أو نقضه بالأدلة الأثرية.

إذ إنَّه من المؤكد وقوع هذا المكان عند تقاطع أو تصالب الشارع الرئيسي أو الكاردو مع الشارع المعترض الرئيس أو الديكومانوس، وهذا الموقع الهام يرشحه بقوة لأن يكون موقع المعبد الوثني في الدورين السلوقي والروماني قبل الدور البيزنطي حين تحول إلى الكاتدرائية الكبرى. والأمر الثاني هو الشكل الطولاني لحرم الجامع وتوجيهه باتجاه شرق –غرب علماً بأن كافة الجوامع الكبرى التي ذكرناها منذ قليل تشترك في هذا التوجيه مع جامعنا المنصوري.

وعلى عكس ما يعتقد البعض،فإننا نعتقد أن هذا المسجد هو أقدم من جامع السلطان إبراهيم وذلك للأسباب التي ذكرت سابقاً.ولكن ما دفع الآخرين للاعتقاد بأن جامع السلطان إبراهيم هو الأقدم هو مقارنتهم أقدم كتابة على هذا الجامع والمؤرخة عام ١٠٢٥ م بأقدم كتابة موجودة على الجامع المنصوري الكبير المؤرخة عام ١٠٩٥م، ولكن منطق الأمور لا يشترط بالضرورة أن تكون أية من هاتين الكتابتين معاصرة للإنشاء الأول لأي من هذين الجامعين، وبالتالي فإنه لا يمكننا اعتمادها كأساس موثوق يعكس أقدمية أحدهما على الأخر.

أمر آخر يؤيد أقدمية الجامع المنصوري على جامع السلطان هو الظن بأن الفاتح المسلم قام بتحويل الكنيسة الكبرى إلى الجامع الكبير عشية الفتح بغية تأمين مكان يصلي به المسلمون وترك الكنائس الأخرى ليمارس مسيحيو

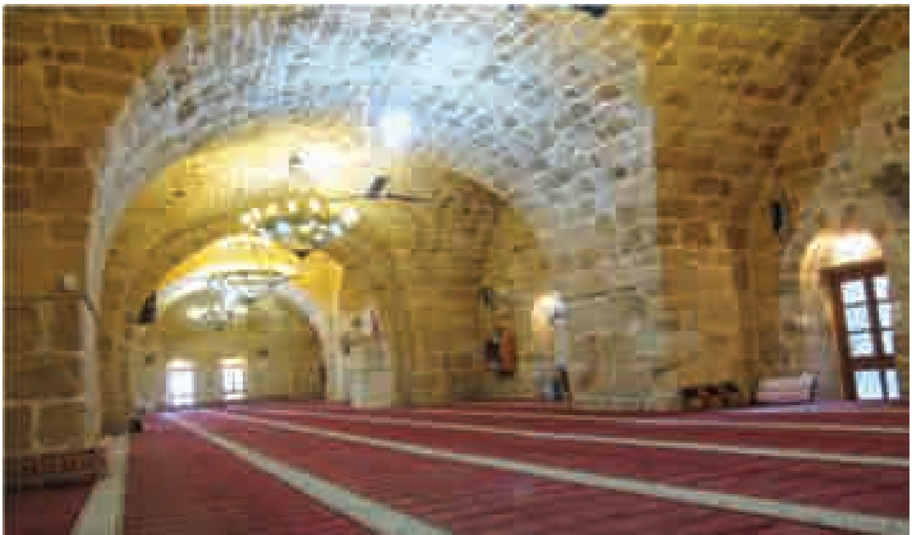
البلــد وسكانهــا العرب الموجــودون فيها قبل الفتــح شعائرهم الدينيــة جرياً على مبــدأ التسامــح الديني الذي انتهجه الفاتح في بقية المــدن التي فتحها مثل دمشق وحمص وحماة ومعرة النعمان وحلب وغيرها. ومن المعتقد أن الحي الشمالي تُرك للمسيحيــين، الأمر الذي يفسر حمله لاسمه التاريخي الذي مازال قيد الاستعمال إلى اليــوم، وخاصــة في قيود السجــل المــدني الرسمية وهو محلــة الصليب حول الكنائــس، (ومــن بينها الكنيسة التي تحمــل اسم محلة الجامــع في قيود السجل المــدني ذاتها كما هو معروف لدى الجميع اليــوم). وفي اللاذقية حصل شيء من هــذا القبيل، حيث مــازال حي الصليبة، الــذي يضم دار المطرانيــة القديمة إلى اليوم مؤيداً لما قيل.



مخطط الجامع



حرم الجامع قبل الترميم



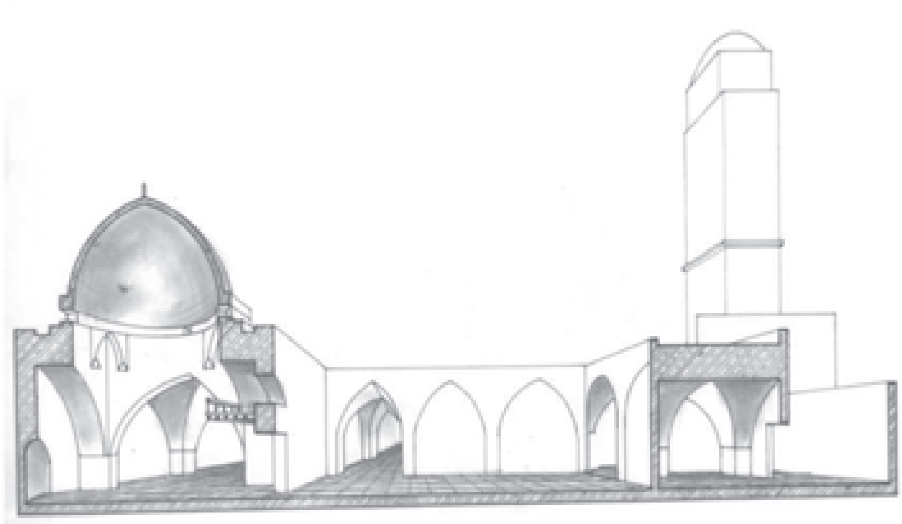
حرم الجامع بعد الترميم



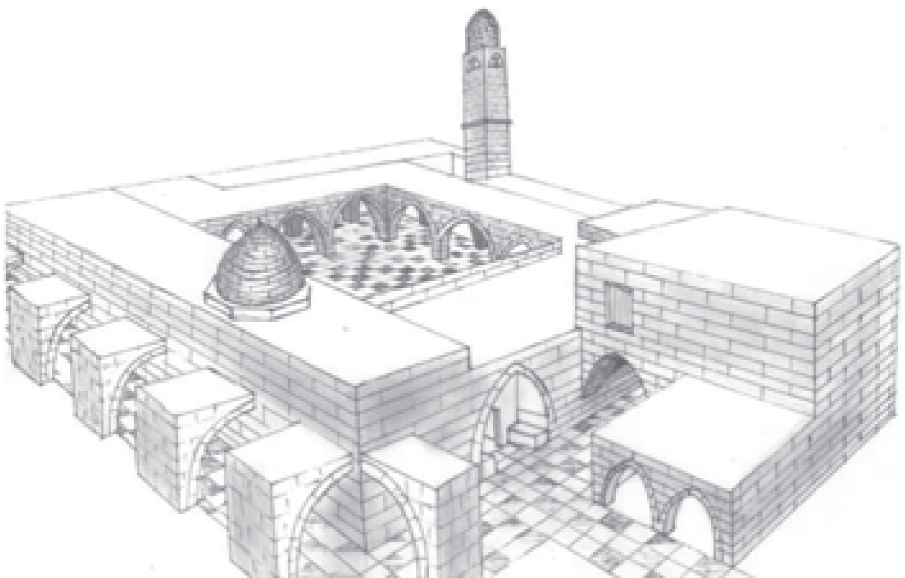
نقش كتابي على الجدار الجنوبي لصحن الجامع



مئذنة الجامع



منظور بشكل مقطع للجامع



منظور للجامع

مسجد قبة العمري

يقـع مسجد قبة العمـري في منطقة كورنيش البحر، وهـو مؤلف من طابق أرضي يحتوي على غرفة واحدة يستخدم حالياً كمسكن.

مساحـة البنـاء ٥٠م٢ على شكل مستطيل أبعـاده (٦,٦×٥,٧) م، يحوي علـى أربعـة أواوين من جهاتها الأربـع بعمق المتر، وتعلوه قبة مـن الحجر الرملي ارتفاعها ٢,٨م، على الجدار الجنوبي يظهر المحراب بشكل نصف بيضوي وتعلوه نافذة. المدخل من الجهة الشمالية بعرض ١,٤ م وارتفاع ٢ م.

يعلو الباب قنطرة وتحت القنطرة ثلاث لوحات زخرفية، كما وتبدو نافذتان للخارج تظهران في الواجهتين الشرقية والغربية.

تم بنـاء الجامـع عام (٦٣٦ ميـلادي) وكان أول جامـع في المنطقة، وأهم مكتشف عثر عليه في الجهة الشرقية من المبنى آية قرآنية .

« إنمـا يعمر مساجد الله مـن آمن بالله واليوم الآخر وأقـام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلاَّ الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين ».



مسجد قبة العمري



نقش كتابي على الجدار للشرقي للمسجد

جامع الإستانبولي

يقــع جامع الإستانبــولي في وسط منطقة الجامع العقاريــة، يتميز بمئذنته ذات المقطع الدائري، تم ترميم الجامع وفك الأجزاء الحجرية والمئذنة منه وتمت إعادة بنائه وهو مؤلف من طابق أرضي. ومساحة البناء ١٠٠م٢ .



صورة الجامع بعد الترميم والتدعيم

حمَّام السلطان

وعلى مقربة من الجامع بُني حمّام السلطان إبراهيم،حيث رصفت أرضياته بالرخام، والقسم الأول منه رباعي الشكل يحوي مصاطب عريضة وتتوسطه بركة مــاء مــن الرخام تأتيها المياه من شرقي المدينة ومن نبــع الفوّار على الأغلب، وهو حمّــام ذو طابــع عثماني، مازال محافظاً على خصائصــه حتّى اليوم. كما وتحتلّ شجــرة السّرو الّتي قدّر عمرها بعدة قرون مكانــة بارزة في نفوس الّذين يرتادون جامــع السّلطان إبراهيم، فهي بنــاء آخر يتسامق طولاً وعظمــة وتمتدّ متّسعة في المــكان وعميقاً في الزمان فتضفي على الجامع ظــلاً حانياً أخضر، ويضفي عليها مهابة وجلالاً.

لمحة عن الحمَّام وطريقة عمله :

انتشــرت الحمَّامــات في العقود الماضية في كلّ مدينــة تقريباً وفي كلّ تجمّع ســكاني، وقد تــلازم وجودها بجوار الجامــع غالباً، واعتبرت مكانــاً للاستجمام والاسترخــاء والترفيــه، وكان يقضــي المستحــمُّ عــدَّة ساعــات من وقتــه في تلك الحمَّامــات ليحصل فيها على كامل خدماتهــا، وقد اعتبر الحمَّام في مدينة جبلة القديمــة نموذجــاً جميلاً وفريداً مــن نوعه على الساحل الســوري، والذي ما زال محافظاً على نمطه العمراني والمعماري المميز حتى يومنا هذا.

وقــد أخذ هــذا الحمَّام عمارة مميزة مــن حيث التقسيــم والتوزيع، بشكل تختلف الحرارة في الأقسام والحجرات بحسب دورها الوظيفي، ويعدُّ أصل تقسيم الحمَّــام إلى ثلاثة أقسام وفصــل بعضها عن بعض، وجعل جســد الإنسان ينتقل من البــارد إلى الساخن وبالعكس بشكل متدرّج، مقاربــة نوعاً ما لنظام الفصول

الأربعــة التي يمرُّ بها جسد الإنسان عبر فصول السنة وما يلاقيه من برد وحرارة واعتدال خلالها.

أمــا عن فنّ العمارة في الحمَّام فهو يتميــز بأنه مبني من الحجارة الرملية التي بنيت منها كامل مدينة جبلة القديمة، حيث إن قبابه مبنية من تناوب قمريات الفخار المشوي المفتوحة مــن الجانبين على شكل أنبوب، وأخرى مفتوحة من جهة واحــدة فقط، مــع حشوات رقيقة من الحجــر الرملي، وتعلــو القمريات الفخارية قمريات زجاجية تسمح للضوء بالدخول إلى الحمَّام.

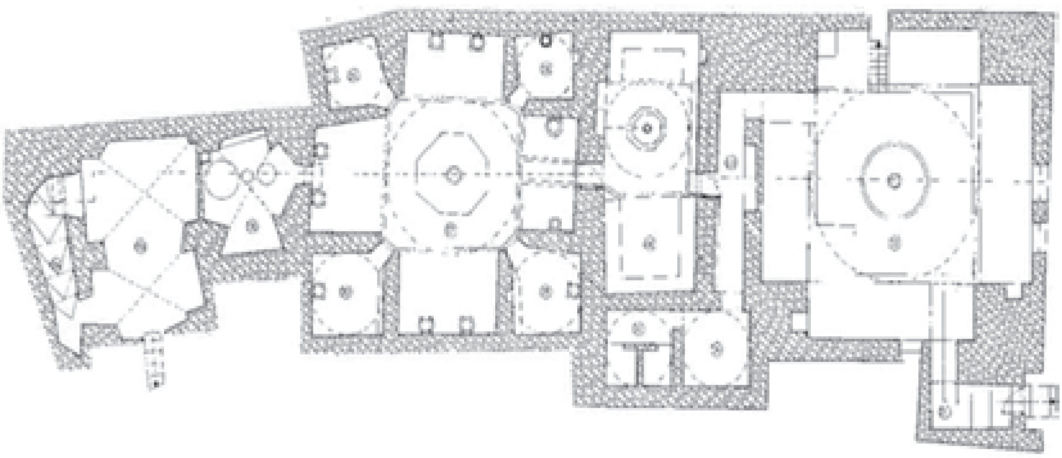
ويتألــف الحمَّام مــن ثلاثة أقسام تختلف بتوضّعها ضمــن البناء الأساسي للحمَّــام، ويتميز كلٌّ منها بمهمــة ووظيفة بني على أساسهــا، وهي بمجملها وكما سميــت ضمن ترتيبها من الخــارج إلى الداخل أولاً البراني ثــم الوسطاني وبعده الجواني وأخيراً القسم الرابع والخارجي بيت النار أو ما يسمى بالقميم.

قسم البراني أو البارد وهو القسم الأول من الحمَّام فيه يقوم الزبائن بخلع ملابسهم عند الدخول وارتدائها عند الخروج، ويتكوَّن هذا القسم من باحة مبلطة بالرخــام يتوسطها بركة مــاء، ويحيط بها مصاطب مفروشــة بالأرائك والمساند يجلســ عليهــا المستحمون بعــد انتهائهم مــن الاستحمام، وهــذا القسم مسقوف بطريقة العقد الحجري المتصالب تعلوه قبة، وهو عالٍ مُحاط بالنوافذ الزجاجية، وكان هــذا القســم مطيَّن بالكلسة التقليدية (الكلسـ المطفأ والقنب والرمل) مع العلــم بأن الدخــول إلى الحمَّام يكون إلى البراني عــن طريق مدخل جانبي يؤمن الدخــول بشكل غير مباشر إلى بهو الــبراني حفاظاً على خصوصية الجالسين في هذا القسم وعدم كشفهم إلى الخارج.

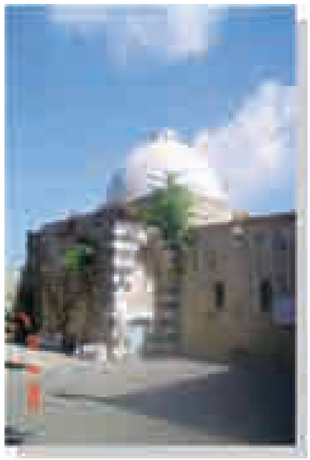
أما القسم الوسطــاني أو الفاتر فيعتبر هذا القسم مرحلة انتقالية وهو ذو حرارة معتدلــة حتى لايصطدم جسم المستحمّ مباشــرة بالساخن، وهو مسقوف بقباب تحتــوي على فتحات زجاجيــة (قمريات) ينفذ من خلالهــا ضوء الشمس إلى الداخــل، حيــث يوجــد مصطبــة يستريــح عليهــا المستحمون خــلال فترات الاستحمام.

أمــا عن القســم الثالث من الحمَّام وهو الجواني أو الحــار فتتم فيه عملية الاستحمــام والتعرق وعمليــات التدليك أيضــاَ، ويتميز بدرجــة حرارته المرتفعة مقارنــة بالأقسام الأخرى من الحمام، ويتكون من إيوانين متقابلين يتوضعان على طرفي بيت النــار، وضمن كل إيوان يوجد جرنان يحتويان على ماء ساخن ينساب من بيت النار عبر شبكة من الأنابيب الفخارية تجري ضمن الجدران، كما يتفرع عــن الإيوانين /٤/ مقصــورات (حجرات) تحتوي كل منهــا على جرن خاص بها حيث من الممكن أن تكون هذه الغرف مخصصة لبعض العائلات المعروفة في أيام معينة من الأسبوع، وهذا القسم أيضاً مسقوف بقباب ذات قمريات زجاجية.

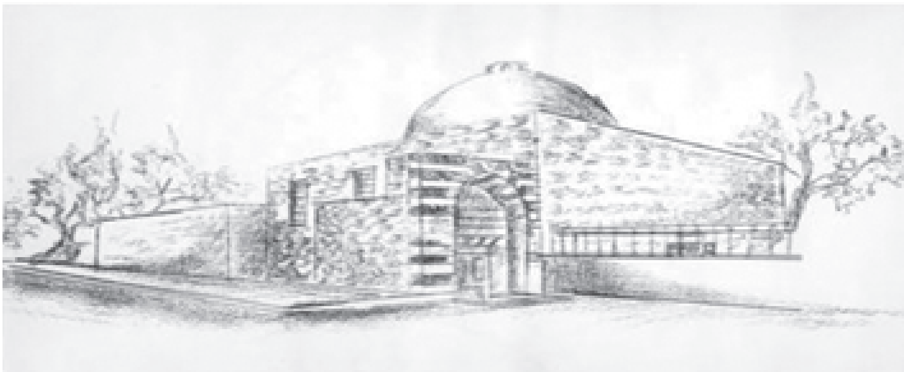
أمــا عــن بيت النــار أو مــا يسمــى بالقميم فهو الجــزء الخارجــي الملحق بالحمــام، وكان يتم فيــه تسخين الماء من قبــل عامل يسمــى القميمي عن طريق حرق القمامة المجففة وروث الحيوانات ونشارة الخشب تحت جرن ضخم، بحيث تنساب الحرارة الناجمة عن الحرق تحت أرضية القسم الجواني عبر أقنية مبنية مــن القرميد تعمل على تسخين أرضية الحمام، وتنتهــي إلى أقنية فخارية ضمن الجدران تساعد على تسخينها أيضاً، أما الفائض من الدخان الناجم عن الحرق فيخرج عن طريق مدخنة موجودة في القسم الوسطاني.



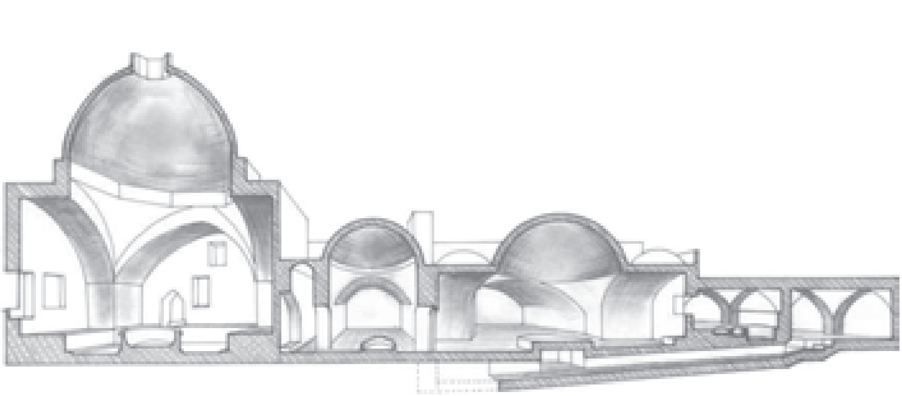
مخطط حمّام السلطان




مدخل حمَّام السلطان



منظور لحمَّام السلطان إبراهيم



منظور بشكل مقطع لحمَّام السلطان

حمَّام التصاوير

لم يـرد ذكـر لحمَّـام التصاويـر أو لأي حمَّام آخـر بنفسـ المواصفات في منطقة جبلة في كتب الرحالة والمؤرخين الذين زاروا منطقة جبلة، سواء في الفترة المملوكية أم في العصر الحديث. والمعلومة التاريخية الوحيدة التي تم العثور عليها هـي نسب الحمام إلى الفـترة المملوكية في عهد السلطان المنصور بن قلاوون، مع ملاحظـة ورود معلومـات حول الحمَّام في بعضـ المطبوعات تذكـر بناءه في عهد السلطـان قلاوون على يـد الحاج محمد المطرجي، إلا أن هـذه المعلومة تشير إلى زمـن ترميـم الحمَّام وليسـ إلى زمـن بنائه، حيث تم قـراءة الاسـم دون قراءة كامـل اللوحـة الكتابية والتـي نقش عليها تاريـخ سنة ١٠٧٤ هجريـة (أي ١٦٦٤ ميلادية).

بقـراءة جزئية للوحة الكتابية الموجودة على الواجهة الخارجية والمؤلفة من أربعة أسطر تبين وجود العبارات على الشكل التالي :

السطر الأول : في هذا الحمَّام المبارك –من حلال مال –

السطر الثاني : فخر الأقران الحاج محمد المطرجي–

السطر الثالث : – نحرا في غرَّة شهر رجب –

السطر الرابع :من شهور سنة أربعة وسبعين وألف.



نقش كتابي على مدخل الحمَّام

مـن خلال هذه القـراءة نلاحظ أن الكتابة تؤرخ لحـدث غير معروف أيام الحـاج، أو ربمـا بأمر أو على يد الحاج محمد المطرجي سنة ١٠٧٤ هـ (١٦٦٤م) أي خلال الفترة العثمانية .

ومن خـلال البحث تبـين أن عائلة المطرجـي كانت من العائـلات الكبيرة في الفـترة العثمانية، حيث إنـه في نهاية القرن السابع عشـر وبداية الثامن عشر ميلادي تم تسليم أرسلان باشا المطرجي ولاية طرابلس، كما تم تسليم أخوه قبلان باشـا المطرجي أمير اللاذقية حيـث كان لهذه العائلة دور في النشاط المعماري في المدينـة، ومن المحتمل أن الحاج محمد المطرجي كان إحدى الشخصيات القيادية في منطقة جبلة .

مـن خـلال المخطط العـام للحمَّام نلاحـظ أنه بني على نمـط الحمَّامات المملوكيـة الباكرة والذي استخدم فيه نظام القبب المزودة بفتحات زجاجية والتي

تسمح بدخول الإنارة، وبنفس الوقت تسهيل عملية التهوية داخل الحمام، إضافة إلى استخدام المقرنصات المملوكية.

بُني الحمَّام من الحجر الرملي المنحوت بمقاييس مختلفة، بشكل غير متناظر، ومن المرجَّح أن الجدران الخارجية تعرَّضت لأكثر من عملية ترميم.

أما بالنسبة للمخطط العام، يتألف الحمَّام من ثلاثة أقسام رئيسية هي:

١- **البرَّاني:** ويتمُّ الدخول إليه بشكل غير مباشر، حيث يوجد جدار أمام المدخل بهدف حجب الرؤية من الخارج، ويتألف هذا القسم من فسحة يحيط بها ثلاثة أواوين ويتوسط هذا القسم بحرة مثمنة الشكل، وهذا الجزء مغطَّى بقبة دائرية ذات رقبة مثمَّنة الشكل مزودة من الداخل بمقرنصات ذات طراز مملوكي، تتصل بهذا القسم من الجهة الجنوبية غرفة لتغيير الملابس.

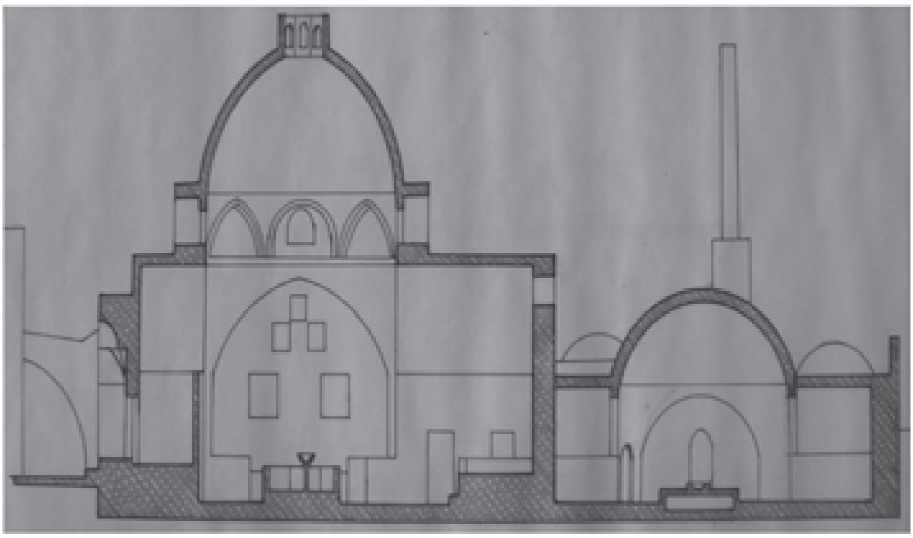
٢- **الوسطاني:** وهو أصغر أقسام الحمَّام وهو مغطَّى بقبة دائرية مزودة بأواني زجاجية مفرغة.

٣- **الجوَّاني** : ويتألف من فسحة مركزية محاطة بأربعة أواوين (على شكل صليب) ويتصل به عدد من الغرف الصغيرة، تغطي هذا القسم قبة دائرية مزوَّدة بالزجاج المفرَّغ.

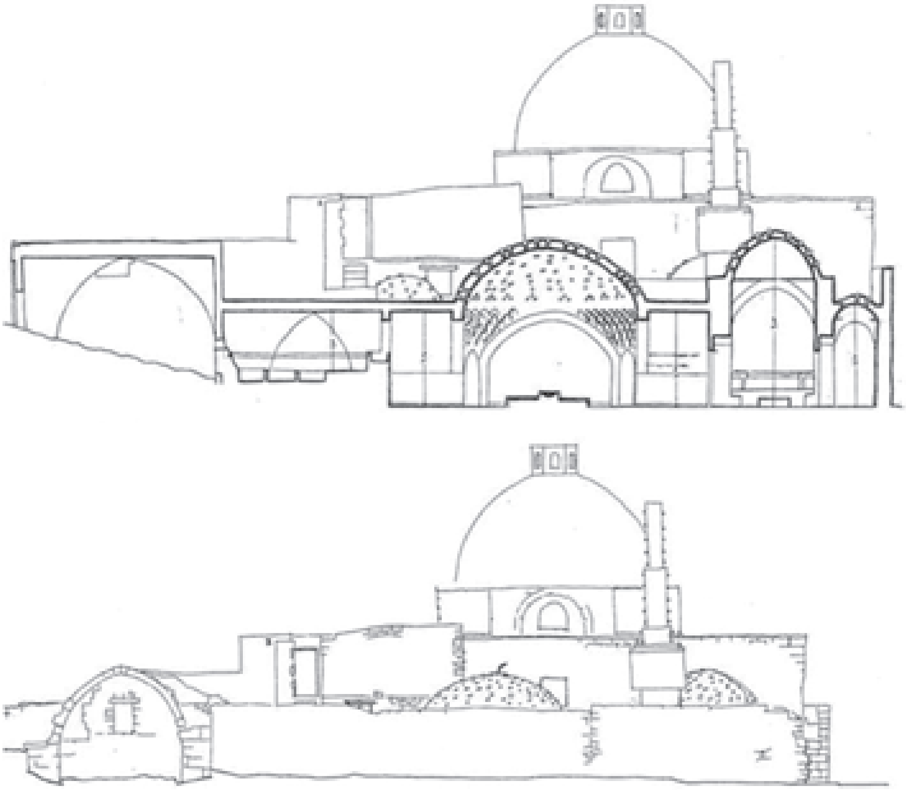
- **قسم للخدمات:** ويضمُّ خزان المياه مع حجرة التسخين. للحمَّام نظام صرف صحي يتجه مباشرة نحو البحر، كما يوجد شبكة توزيع للمياه الحارة والباردة تمر ضمن الجدران .



مسقط الحمَّام موضحاً عليه جميع الأقسام



مقطع في الحمَّام



نظور للحمَّام



قبة القسم البراني من الخارج



مدخل الحمَّام



الحمَّام من الجهة الشرقية



قباب الحمَّام من الخارج



أقسام الخدمة مثل القميم

الحمَّام الروماني

كشفت أعمال التنقيب التي قامت بها دائرة آثار جبلة عام ٢٠٠٧ عن حمَّام رومـاني على بعد عشرة أمتار جنوب المسـرح الروماني في جبلة، حيث تم الكشف عن الحمَّام أثناء أعمال الحفريات لبناء مجمَّع تجاري في موقع مدرسة عز الدين القسـام بعد هدمها، ويهـدف المجمع التجـاري إلى تأهيل مركـز المدينة وإظهار الأوابـد الأثرية بشـكل حضاري وخلق ساحـة مركزية وفراغ بصـري بين المدينة القديمة والمدينة الحديثة، بالإضافة إلى إزالة التعديات والإشغالات الموجودة منذ زمـن بعيد حول مبنى السرايا و المسرح الرومـاني وحتى جامع السلطان إبراهيم ابن الأدهم.

يعـود الحمَّام للعصـر الروماني، وتبلـغ المساحة المنقبة حـوالي ٢٠٠٠ م٢ لتكشف عن أرضية من الفسيفساء ومعالم لبناء ضخم مبني من الحجارة المشذبة والكبـيرة تعود لحمـام شعبي يتألـف من ثلاث صـالات كبيرة للقسـم الساخن، وخمسـ صالات مختلفـة الأبعاد للقسم الوسطاني والـبراني. وظهرت في صالات القسـم الساخـن أو مـا يعرف بالجـواني معالم قنـوات لتصريف ومـرور الهواء الساخـن إلى الصـالات، بالإضافة لوجـود مكان لخزان تسخين الميـاه، ويبدو أن أرضيــة الصالات كانت مبلطـة بالرخام. وضمن تلك الصــالات تم تحديد وجود أحواضـ استحمام منها ما يأخذ شكل مستطيل وأخرى نصف دائري. أما القسم الوسطاني والبراني فلقد ظهرت فيه قناة لمياه الصرف وتتجه شرق ـ غرب، وقناة

ثانية وتتجه شمال - جنوب، وكانت قناة تصريف مركزية للمدينة، وإحدى صالات هـذا القسم كانت مبلطـة بالفسيفساء. كما ظهر جدار بطـول ٣٥م وبعرض متر مبنـي بحجارة كبيرة الحجم يشكل الحدود الشرقية للمبنى، كما كشف في الجهة الجنوبيـة عن أساسات لمبنى بني بحجارة غـير مشذبة وهو مؤلف من عدة غرف يرجـع تاريخهـا للقرن الثاني قبل الميـلاد، ويرجح بأنه أعيـد استخدامها كسكن للخـدم وعمال الحمـام أو كمستودعـات أو محلات تجارية خاصـة لبيع العطور. كمـا عثر على مجموعة من النقـود البرونزية والوزنـات المصنوعة من الرصاص والعديـد من التقالات المصنوعة من الفخار المستخدمة في مشغل الحياكة، وبعض السـرج الفخارية تعود للعصرين الهلينستـي والروماني، إضافة إلى بعض النقود البرونزيـة التـي تعود للفترة نفسها، ويعود بعضها لنقـود مدينة جبلة والتي كانت في العصر الهلينيستي أحـد المراكز الرئيسية لسكّ النقود على الساحل السوري، بالإضافة لقطعة نقدية تعودإلى القرن الرابع الميلادي من سكّ نقود الإسكندرية، وقلادة صغيرة من الذهب.

علماً أن الحمَّامات الرومانية كانت عبارة عن مجمعات ترفيهية للمدينة تضم بالإضافة لأماكـن الاستحمام والتدليك قاعات للمحاضرات والمطالعة مع حدائق تحيط بالمبنى، ويعد هذا الكشف من المباني الهامة والفريدة وخاصة ضمن مدينة مأهولة بالسكان كمدينة جبلة.

موقع مدرسة عز الدين القسام قبل هدمها مكان اكتشاف الحمَّام الروماني



صورة عامة توضح أعمال التنقيب في موقع الحمَّام الروماني



مدافن الجبيبـات

الجبيبات حي سكني كثيف بالسكان في الوقت الحالي، أما عن ماضيه فقد اتخذ اسمه من كثرة المدافن الموجودة فيه والتي تشبه الآبار.

والجبيبــات مفردها جـب وتعني البئر، هــذه المدافن مكشوفة إمــا بسبب الحتّ البحــري، أو بسبــب الاكتشــاف العَرَضــي في العقــود الثلاثــة الأخيرة بسبــب حفريات فرضتهــا أعمال التوسع في البناء للمدينــة الحديثة. ولذلك يجب على الساكنين في هذا الحــي تقدير المــكان التاريخي الذي يسكنونــه فكثير من الشعوب الأخــرى تتمنىَّ زيارة الآثار في أنحاء العالم، فكم من الروعة أنَّك تسكن حيث مرَّ الكثير من شعوب الأرض!

يا عزيزي ساكن حي الجبيبات، أنت بمكان يحسدك عليه الكثير من النـاس وكــم من مــرة قالها علماء الآثــار الذيــن زاروا جبلة منذ سنــوات (إنكم في هذه المدينة تسكنون فوق مدن وحضارات كاملة فاعتنوا بما تملكون).

تقــع مدافن الجبيبات في الجهة الشماليــة الغربية من مدينة جبلة القديمة علــى بعد ٥٠٠ م شمال غــرب مسرح جبلة الروماني، حيث تبــدأ من منطقة جب الطاحــون وحتــى خليج الرميلة، وهــي بطول ١٦٠٠م وعرض حــوالي ٣٠٠ م، وقد بــدأت أعمــال التنقيب فيها منذ عــام١٩٧٧، وبشكل عام كانت عبــارة عن حفريات طارئة نتيجة القيام بأعمال إنشائية في المنطقة. وبلغ عدد المدافن المنقب عنها ١٥٥ مدفنــاً جماعياً وقبراً فرديــاً. وتتصف هذه المدافن بأنهــا محفورة في الصخر وهي خالية من العناصر الزخرفية كمدافن تدمر أو مدافن جنوب سورية المعاصرة لها.

مــن المعروف لدى النـاس أن هذه المدافن تعــود للفترة الفينيقية، ولكن من خــلال المكتشفات الأثرية فيها تبين أن بداية الدفن كانت منذ النصف الأخير من

القــرن الرابع قبل الميلاد (بداية العصر الهلنيستي) وحتى القرن الرابع الميلادي (نهاية العصر الروماني) بالرغم من وجود بعض القطع الأثرية والتي تعود لنهاية القرن الثامن وحتى الرابع قبل الميلاد (العصر الفينيقي).

وقد تم تحديد ثلاثة أنماط من الدفن في هذه المدافن: فالنمط الأول عبارة عــن مدافن جماعية ذات مداخل بشكل بئر ونسبتهــا ١٩٪. والنمط الثاني عبارة عن مدافن جماعية ذات مداخل بشكل دَرَج ونسبتها ٢٣٪، والنمط الثالث هو قبور فردية نسبتها ٥٨٪.

أمــا توضُّع القبور في هذه المدافن فإنه في بدايــة العصر الهلنيستي (نهاية القــرن الرابع قبل الميــلاد) كان الدفن يتم ضمن قبور فردية محفورة في الصخر متوضِّعــة بشكل منتظم باتجاه (شرق-غرب) والرأس دائماً باتجاه الشرق، حيث كانت تغطَّى بثلاث أو أربع بلاطات حجرية وفقاً لحجم البلاطة. وفي بداية القرن الثالــث قبل الميــلاد بدأ الدفن على شــكل مدافن جماعية وغالبــاً كانت مداخلها تأخــذ شــكل بئر أو ممرّ ومن ثم في نهاية العصــر الهلنيستي ظهرت المدافن ذات المداخل على شكل دَرَج لتظهر بعدها المعازب العرضية.

وبشــكل عام لم تعــرف أنمــاط الدفن في جبلة خــلال العصــر الهلنيستي التوابيــت الفخاريــة ولكن إن تم الكشف عن مثلها خــلال هذه الفترة فستكون من أنمــاط توابيــت منطقة عمريت والتي تأخذ شكل آدمــي لأن الدفن كان يتم ضمن القبر ومباشرة على الأرض.

تم الحصول على مجموعة متنوعة من الأثاث الجنائزي في هذه المدافن التي ظهــرت في عــام ٢٠٠٥ على الرغم من نهبها وتخريبها سابقــاً، مثل سرج فخارية تعود للعصر الروماني حملت عناصر زخرفية متنوعة تشمل جميع نواحي الحياة، وهــي ذات مصادر متنوعة من قبرصــ وشمال إفريقيا واليونــان وإيطاليا وسرج فخارية تعود للعصر الهلنيستي، وهي مصنوعة بالقالب أو الدولاب وذات مصادر مختلفــة من جزيرة رودوس وإفسوس(شمــال غرب تركيا)ومن اليونان (دلفي). وعُثر أيضاً على دمية لامرأة عارية الصدر (عشتار) مصنوعة من الطين المشوي وتعــود للفترة الفارسية (الفترة الفينيقية المتأخــرة)، وعلى مجموعة من الأزرار المصنوعــة من الخشب ومجموعة كبــيرة من رؤوس المغــازل المصنوعة من حجر

السياتيت، ومجموعة من القطع المصنوعة من عجينة الزجاج المختلفة الألوان كالأبيض والأخضر والأزرق والبني المحمر وتأخذ شكل زر، وكانت تستخدم لتزيين الملابس علماً أنه للمرة الأولى يتم العثور على مثل هذه القطع في مدافن جبلة.

كما تم العثور على بعض اللقى المهمَّة والمتميزة مثل نقد ذهبي يعود للإسكندر المقدوني وهو من القطع النادرة في العالم، بالإضافة إلى بعض النقود الفضية والتي تعود للإسكندر وهي من سك نقود أرواد. وإناء فخاري صغير على شكل حصان، وكذلك عُثر على مجموعة من الخرزات غالباً كانت تشكل قلادة وبعضها مصنوع من عجينة الزجاج وبعضها الآخر من العقيق الأحمر المائل للبني.



صورة جوية لمنطقة الجبيبات



صورة لبعض مدافن منطقة الجبيبات



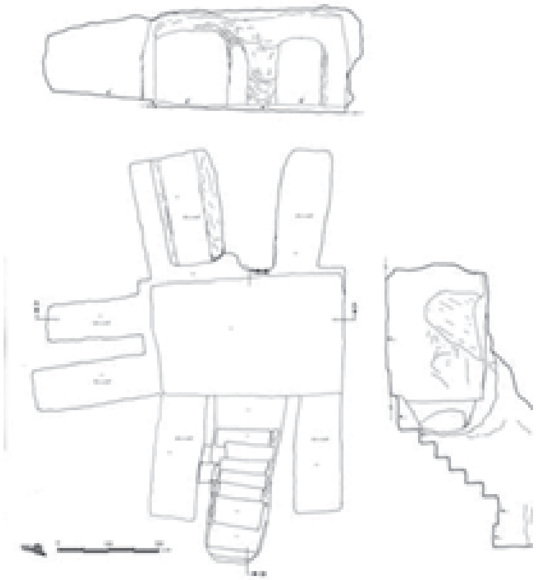
مدخل لمدفن جماعي



معازب ضمن أحد المدافن الجماعية



قبور فردية



مسقط مدفن جماعي



مجموعة من القوارير الفخارية



مجموعة من السرج الفخارية تعود للعصر الهلينستي



مجموعة من السرج الفخارية تعود للعصر الروماني



مجموعة من القوارير والبكايات مصنوعة من الزجاج



إناء بشكل حصان



دمية لامرأة (عشتار) من الطين المشوي



مجموعة من رؤوس المغازل



مجموعة من القطع العظمية



نقد من الذهب



نقد من الفضة

قلعة المينقـة

- الموقع الجغرافي والإستراتيجي للقلعة:

تبعـد قلعة المينقة إلى الجنوب الشرقي مـن مدينة جبلة حوالي٣٥ كم على طريـق وادي القلـع وترتفع عن سطح البحـر ٦٣٠م وتشغل مساحـة ١٠ دونمات، وتحتـل موقعاً هاماً على الجبـال الساحلية شمال وادي مجرى نهر الحسين (نهر كان يجـري قديمـاً بتلـك المنطقة ولم يعد منــه اليوم سوى سيــول شتوية) وهذا الوادي معروف حالياً بوادي القلع ويشكل هذا الوادي الحد الطبيعي بين محافظتي اللاذقية وطرطوس، وتجاور القلعة قرية القلع؛ (نسبة للوادي المعروف بقلاعه) وقريــة المشتية. وهذه المنطقة غنية بالمواقــع الأثرية التي تعود إلى فترات تاريخية مختلفــة، ويعــود ذلك إلى غنى هــذه المنطقة بالميــاه وتربتهــا الزراعية الخصبة الصالحة لزراعة الدخان والزيتون وأنواع مختلفة من الزراعات منذ القدم.

لمحة تاريخية :

عرفت قلعة المينقة لدى المؤرخين كإحدى قلاع الدولة الإسلامية المنتشرة في منطقة جبال الساحل السوري، والتي كانت تسمى (جبال البهرة) بعد أن تمكنت الدولــة الإسلامية مــن الاستيلاء على هــذه المنطقة الحافلــة بالقلاع والحصون البيزنطية.

وقــد ورد ذكــر قلعة المينقة في كتــاب الرحالة ابن بطوطــة المسمى (تحفة النظــار في غرائب الأمصــار وعجائب الأسفار) بأنها حصن، عندما زار المنطقة وقــال: فمــررت بحصن المينقة، وقد ضبــط اسمه بفتح الميم وتسكــين الياء وفتح النــون والقاف. كما ورد ذ كرها عند القلقشنــدي في كتابه (صبح الأعشى) بأن قلعةالمنيقــة إحدى نيابات قــلاع الدولــة الإسلامية، كما يذكرهــا وليم الصوري

المؤرخ الصليبي باسم المينقــة، بأنها إحدى قلاع الدعوة الإسماعيلية المنتشرة في جبال البهرة.

نلاحظ أن اسم القلعة (الحصن) قد ورد عند ابن بطوطة ووليم الصوري باسم المينقة خلافاً للقلقشندي الذي ورد عنده باسم المنيقة.

القلعة في الفترة الزنكية:

لم يستطــع نور الدين الزنكــي السيطرة على قلعة المينقة، لكنه سيطر على قلعة شيزر سنة ٥٦٤ هـ وذلك بسبب فقدانها الميزات والخصائص التي تتمتع بها قــلاع جبال البهرة من تحصن ومناعة طبيعيين.وقد زحف نور الدين الزنكي نحو تخوم بلاد البهرة أكثر من مرة بين ٥٢٣– ٥٦٤ هـ دون أن ينال منها، ولكنه أشعر أهالي المنطقة بخطر هجوم مفاجئ.

القلعة في الفترة الأيوبية :

بقيــت قلعــة المينقة بيد حاكمهــا في هذه الفترة، بسبب هدنــة الصلح التي عقــدت مع صلاح الدين الأيوبي وبتوســط شهاب الدين الحارمي أمير حماة خال صــلاح الدين الأيوبي، وذلك بعد أن عزم صــلاح الدين على الثأر من حاكم قلعة المينقــة لمحاولــة اغتياله، واتفقا على شــروط تنص على عدم الاعتــداء والتعاون ضــد الفرنجة. لكن قبول حاكمها الصلح مع صلاح الدين وفَّر له السلاح والعتاد لحماية حدوده وعاش مع صلاح الدين كصديق.

القلعة في الفترة المملوكية :

في بدايــة هذه الفترة أخذ حاكم قلعــة المينقة يشعر بالضعف بعد التخريب والنــزاع الداخلــي مثل قــلاع الجوار، ثم عرض الحاكم صداقته علــى السلطان الظاهر بيبرس، فأحسن وقبل صداقته وترك له حصنه وأعفاه من الضرائب.

وفي عهــد السلطان المنصــور قلاوون كانــت قلعة المينقــة خاضعة لشروط الهدنة التي عقدت بين المنصور قلاوون وبين الإستبارية وإمارة طرابلس في محرم سنــة ٦٨٠ هـ إبريــل ١٢٨١ م، وقد تقررت الهدنة مع متملــك طرابلس بيمند لمدة عشر سنوات ، تبدأ من ٢٧ ربيع الأول ٦٨٠ هـ الموافق ١٥٩٢/٧/٥م.

القلعة في الفترة العثمانية :

كانت القلعة في بداية الفترة العثمانية في صراع مع العثمانيين، إذ كان الولاة يأخذونها مراراً، وكان حكامها يستردونها .وفي عهد السلطان عبد المجيد استتب الأمن والنظام ومنذ ذلك التاريخ هجرت المينقة.

القلعة في الفترة الفرنسية :

استمر هجر قلعة المينقة في بداية الاحتلال الفرنسي لمنطقة الساحل السوري عام ١٣٣٧هـ - ١٩١٨ م، أصبحت قلعة المينقة في هذه الفترة معقلاً للثوار الذين يقومون بالغارات على قوات الاحتلال الفرنسي إلى أن تم تحرير البلاد سنة ١٩٤٦ م .

وبعد ذلك طواها عالم النسيان إلى أن شرعت المديرية العامة للآثار والمتاحف سنة ٢٠٠٠ م بالاهتمام بها من أجل تسجيلها كإحدى المواقع الأثرية في سورية، ثم تم الترميم فيها لأول مرة عام ٢٠٠٥ وبشكل سنوي بعد ذلك مع إجراء التنقيبات التي كشفت بعض أسوارها وأبراجها وبعض الأقبية الموجودة بداخلها بالإضافة لكشف البوابة الرئيسية لها.

الوصف العام :

تشغل القلعة مساحة (٨٦٥٠) متراً مربعاً ويبلغ مجموع طول أسوارها (٥٢٠) متراً طولياً. بنيت القلعة على هضبة صخرية تحيط بها ثلاثة أودية (جنوب – شرق – غرب)مؤمنة حماية طبيعية لها من هذه الجهات الثلاث، ومن الجهة الشمالية والشمالية الشرقية تتصل هذه الهضبة الصخرية بالجبال المحيطة بامتداد طبوغرافي طبيعي تم فصله من قِبَلِ بناة القلعة بحفر خندق بطول (٥٠) م وعرض حوالي (١٠) م وعمق حوالي (١٠) م وسطياً. ويلاحظ في الجهة الشرقية بأن بنَّائي القلعة قد عمدوا إلى تقوية هذه الثغرةالطبيعية ببناء سور مدعم بالأبراج يشكل واجهة عظيمة تظهر القوة والمنعة، وأعطي هذاالسور جميع المقومات الكافية لصموده في وجه أيّ خطر محتمل. بقيت المينقة ولزمن طويل إحدى القلاع التابعة للدولة الإسلامية، فدافعوا عنها رغم تعدد الطامعين بها مرة بالقوة، ومرة بالحنكة والسياسة.

تأخذ القلعة شكلاً متطاولاً غير هندسي ما هو إلا نتيجة بناء السور بهندسة رائعة متناغمة مع الطبيعة ، فنراه متماشياً مع الحواف الصخرية للهضبة بتناغم رائع مع الحفاظ على استقامة كل جدار على حدة، فنرى سمفونية معمارية رائعة تصلح مثالاً للاستفادة من التضاريس الطبيعية في العمارة ، وبنفس الوقت تم توظيف هذا الأسلوب لإنشاء سور بتدعيم ممتاز وذلك عن طريق تراجع جدار عن آخر أو تقدمه عليه مما يؤمن متانة ومقاومة جيدة ضد الأخطار وعوادي الزمن .

ترتفع الهضبة الصخرية التي تم بناء القلعة عليها من الجهة الجنوبية أكثر من الجهة الشمالية لذلك تم اعتماد تعدد الطوابق في الشمالية والشمالية الشرقية وتركيز معظم فعاليات القلعة في المنطقة الممتدة بين الخندق وبداية بروز المستوى الأعلى للهضبة الصخرية وذلك في الثلث الجنوبي من القلعة، وحقيقة الأمر أن هذه المنطقة هي المنطقة التي واجهت تحدي الزمن والأخطار، وبقيت صامدة، في حين أزيلت معظم المعالم المعمارية في الثلث الجنوبي للقلعة لعدم اعتماد البنَّائين البناء بالأحجار الضخمة والتي تحفظ البناء فترة أطول، ومع هذا تطالعنا بعض الجدران خاصة في الجهة الشرقية والغربية .

كما نلاحظ توظيفاً للكهوف الصخرية في الجهة الجنوبية للهضبة الصخرية للسكن أو كمخازن ومستودعات حيث لوحظ وجود مغارة تم معالجة جدرانها للاستفادة منها، ويشك بوجود مغارة أخرى وربما أكثر.

إن أبرز ما يميز القلاع هو الأسوار الضخمة القوية وما توحي به من عظمة ومنعة، كما تم بناء سور خارجي ملاصق للسور الأصلي للقلعة ويتقدمه من متر إلى ثلاثة أمتار مما طمس المعالم الأصلية للقلعة، ولهذا السبب لا نجد مدخلاً صريحاً للقلعة أو بوابة تصلح كمدخل ما عدا مكان واحد، فقد تم بناء جدار دفاعي ثانٍ أمام الجدار الأصلي ليؤمن الحماية للجهة الأخطر وهي الجهة الملاصقة للجبال المجاورة والتي لا يفصلها عنها سوى خندق تم حفره يدوياً.

فقد لجأ المدافعون عن القلعة بعد إحدى الغزوات (وعلى الأغلب هم الذين نجحوا في فتحها واحتلالها بعد هدم دفاعاتها) إلى تحصينها بالسرعة

القصوى فكان الحل الأنسب والأسرع لهم هو بناء جدار ثان يحيط بالأول ويدعمه دون الحاجة إلى الخوض في الترميمات وما تتطلبه من جهد ووقت.

بالرغم مما عانته القلعة من إهمال وتخريب وأعمال استصلاح لسطحها إلا أننا نلاحظ عدداً لا بأس به من الأقبية ومعظمها في حالة معمارية جيدة لولا أيادي التخريب التي طالتها ردماً وحفراً في جدرانها بحثاً عن كنوز وهمية مفترضة في جدرانها.

لقد تمكنا من ملاحظة ستة أقبية وأساسات سبعة أقبية ومغارة تم استخدامها، رغم شكنا بوجود المزيد من الأقبية أو بقاياها من خلال الجدران والأساسات التي تطالعنا حيثما سرنا، وقد تم توثيق خمسة أقبية منها ويبلغ طول أحد هذه الأقبية نحو ١٤ متراً.

لقد تميزت القلعة بمجموعة من العناصر المعمارية عن بقية القلاع الأخرى، فلقد عالج بناة القلعة موضوع النوافذ ومرامي السهام والأقواس والعقود بأبسط الطرق وأسرعها، فلا نلاحظ هذا التكلف في البناء بل البناء بأسرع الطرق مما يوحي بخطر داهم يحيط بهم، فكانت الغاية تأمين الحماية ولو على حساب الدقة الفنية في البناء.

إن المخطط العام للقلعة يشبه إلى حد كبير المخطط العام لقلعة صلاح الدين رغم الفرق الكبير بالحجم، إلا أنها تميزت عن قلعة صلاح الدين بأبراجها التي لوحظ منها أربعة أبراج واضحة، حيث نجد البرج الشمالي الشرقي يتألف من جدارين متتاليين، إلا أنه يتميز بواجهته الشمالية والتي يشكلها جزء من مضلع غير شهير، كما لوحظ في هذا البرج نافذة بإشراف مميز على المنطقة المحيطة. تم بناء القلعة من الصخر الكلسي ذي المنشأ الرسوبي والمتواجد في تلك المنطقة بكثرة، إذ تعد الهضبة الصخرية التي بنيت عليها القلعة وما حولها مقلعاً طبيعياً لأحجار البناء، وهذا الصخر يتميز بقابلية جيدة للقص بالوسائل التقليدية، كما يتميز بمتانة ومقاومة وتماسك جيد مع معظم أنواع الملاط.



صورة جوية للقلعة المطلة على وادي القلع



صور جوية لقلعة المينقة



واجهة القلعة من الجهة الجنوبية قبل الترميم



واجهة القلعة من الجهة الجنوبية بعد الترميم

قلعة بني قحطان

تقع قلعة بني قحطان ضمن سلسلة الجبال الساحلية إلى الشرق من مدينة جبلـة على بعد ٢٠ كيلو مـتراً، ذكرها ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان على أنهـا حصن على سواحل حمص مقابل جبلة، ومن ثـم أُطلق عليها اسم قلعة بني قحطـان. مع العلم بأننا لانملـك معلومات دقيقة حول تاريخ إنشـاء القلعة شأنها شأن أغلب القلاع في المنطقة ولكن على الأرجح بنى البيزنطيون في القرن الحادي عشر الميـلادي أول تحصيناتها عـام ١٠٣٠، واحتلها الصليبيـون في عام ١١١١م وشيـدوا فيها بعض التحصينـات واحتفظوا بها عشرين عامـاً، ثم استولى عليها سـكان الجبل وأعلنوا طاعتهـم للسلطان صلاح الدين الـذي استولى على القلعة لاحقـاً. وتأخـذ القلعـة بأسوارها شـكل التل الصخـري الذي بنيـت فوقه وتمتد عمارتها باتجاه شرق غـرب بطول ٢٥٠متراً تقريباً وعرض جنوبي شمالي حوالي ٥٠ متراً يحدّها من الشمال والجنوب واديان شديدا الانحدار، وتجري في قعرهما ساقيتـان تلتقيـان من جهة الغـرب. يشبه سفح الموقع قلعة صـلاح الدين. التلال المرتفعـة التـي تحيط بالموقع بعيدة عـن تأثير آلات الحصـار، محمية طبيعياً من الجهات الثلاث. تحيـط بالقلعة بقايا أسوار ضخمة مدعمة بأبراج دفاعية، ويقع داخل القلعـة خزان ماء. فقدت القلعة عبر تاريخها الكثير من نسيجها المعماري، وقد تحولت مـن الداخل إلى مصاطب للمزروعات المختلفـة، ويزيد القلعة جمالاً وقوعها في طبيعة رائعة.

في بداية القرن الثاني عشر يرد ذكر القلعة في المصادر التي تؤرخ الحروب الصليبيـة، حيث يرد ذكر/ احتلال تانكرد سنة ١١١١ لحصن القلعة وهو حصن علـى الطريق الممتد بـين اللاذقية وشيزر/ إذ خضعت القلعـة لسلطة الصليبيين

حتـى سنـة ١١٣١، يذكر احتـلال الحصن من قبل مغامر تركمـاني من صاحبها رينالد مازورإلا أن رينالد استطاع استرداد القلعة سنة ١١٣٦ مما يعني أن القلعة كانـت تابعة خـلال هذه الفـترة لقلعة المرقب (حيـث كان رينالد مـازور صاحب المرقـب وتتبع له المناطق التي حولها)، وعلـى الأرجح بقيت القلعة بيد الصليبيين حتـى تم تحريرها من قبل صلاح الديـن سنة ١١٨٨ بعد تحرير جبلة، حيث تذكر العديد من المصادر امتلاك صلاح الدين لها.

بعـد خضوع المنطقة للسلطة الأيوبية منح صلاح الدين القلعة مع جبلة إلى الأمير سابق الدين (ابن الداية) أمير شيزر، إذ صار من عمال الملك الظاهر غازي صاحـب حلـب (١١٨٦-١٢١٦) فيما بعد بقيت القلعة تابعـة لإمارة حلب الأيوبية علـى هامش إقطاع صهيون (قلعة صلاح الدين حالياً) والإمارة الإسماعلية التي ملكت أغلب القلاع ضمن سلسلة الجبال الساحلية.

في سنة ١٢٣٣ كانت القلعة تابعة للأمير العزيز أمير حلب، فيما بعد انتقلت ملكيـة القلعة بشكل مباشر إلى الأمير مظفر الدين (عثمان) أمير صهيون والذي كانت تقع أملاكه بشكل مباشر ضمن أملاك أمير حلب الناصر يوسف.

على الأغلب بقيت القلعة تحت السلطة الأيوبية حتى الفترة المملوكية، حيث قلَّـت أهميـة القلعة ولم يرد ذكر لها، كما أنه لا يوجد أي دليل على نشاط معماري يعود لهذه الفترة.

بعـد فترة طويلة من الهجر والإهمال للقلعة يرد ذكرها في كتابات الرحالة والمؤرخين الغربيين الذين زاروا المنطقة.

يذكـر الرحالة فان بول في كتابه أثناء زيارته القلعة وصفاً لبعض أجزائها، حيـث يذكـر عدم عثوره على أيَّة كتابة فيها، كما يـروي مشاهدته لبعض الأقواس والنوافذ الكبيرة. كما يورد المؤرخ باولديشامب وصفاً معمارياً للقلعة في كتابه.

وجاء في وصف القلعة عام ١٩٢٣ أنه نصل إليها بسهولة من الجهة الشرقية فهـي تحافظ على سوريـن مع برج بشـكل مستطيل غير متـوازي الأضلاع. وكان المدخـل إلى البرج الرئيسي (الدونجون) من وسط الساحة، من قاعدة المستطيل غـير المتوازي الأضـلاع. وكان يحمي المدخل من الشمال برج مراقبة بشكل مربع، قاعدتـه من العقـد المتصالب يشكّل مفتاحـاً متصالباً. لاحظنـا أن مفتاح العقد

المتصالب مشابه لمفتاح عقد القاعة العليا للبرج الرئيسي لقلعة صهيون. كما نجد في جداري السورين عدداً من الحجارة المحدّبة.

وفي الوصف الحالي تتألف القلعة من سورين، سور خارجي وسور داخلي، أما السور الخارجي فيأخذ شكل شبه مستطيل يمتد باتجاه شرق - غرب وقد بني فوق كتلة صخرية طبيعية تم تشذيبها في بعض الأجزاء، تهدم قسم كبير من السور لكنه ما يزال يحتفظ بقسم جيد منه، وخاصة في الجهة الشرقية والشمالية مع المحافظة على بقايا عدد من الأبراج الدفاعية والتي تأخذ شكل مربع، حيث تم تحديد بقايا سبعة أبراج إحداها يأخذ شكل نصف دائري.

ومن خلال الدراسة الأولية للسور الخارجي مع الأبراج نلاحظ أنّها بنيت بحجارة صغيرة الحجم مبنية بأسلوب بسيط مع مونة كلسية ووجود العديد من أقنية التصريف ضمن جدار السور، حيث يمكن نسبة هذه الأجزاء إلى الفترة البيزنطية.

نلاحظ أن معظم الأجزاء الموجودة في السور الداخلي تعود للفترة الصليبية والتي بنيت بأسلوب مميز حيث نلاحظ استخدام أسلوب جديد في بناء الزوايا الخارجية والتي أخذت شكل نصف دائري وتتركز الأجزاء المتبقية في الجهة الشمالية والشرقية من القلعة، أما في الجهة الجنوبية فنلاحظ عدم وجود السور وتوضُّع مدخل كبير يؤدي إلى القسم الرئيسي في القلعة والذي يرجح أنه يعود للفترة الأيوبية مع الجزء الغربي، حيث يتوضَّع مدخل كبير مع قوس، مع حجر كتب عليه (ناصر الدين) ويبدو أنه فُقدت كلمة من الكتابة، وعلى الأغلب فإنَّ هذا البناء يمثل البناء الرئيسي في القلعة (القصر) إذ حافظ على وظيفته مع تعاقب الفترات التاريخية.

من ناحية العناصر الدفاعية للقلعة من الفترة الصليبية والأيوبية، نلاحظ اختفاء معظم هذه العناصر مع وجود بعض البقايا مثل مرامي السهام، مع احتمال لوجود برج رئيسي (دونجون) في الجهة الشمالية الغربية من السور الداخلي.

في النهاية لابدَّ من التنويه إلى أن هذه الدراسة هي دراسة أولية ولابدَّ من إخضاع القلعة لدراسة أعمق وأشمل مترافقة مع أعمال تنقيب منهجي بهدف إظهار القلعة وتأهيلها.



بقايا برج في السور الخارجي



بقايا من السور الخارجي



الجهة الشرقية من السور الداخلي



الجهة الشمالية من السور الداخلي



كتابة على المدخل الداخلي للقصر



بقايا مرامي سهام



الزاوية الشمالية الغربية حيث يتوقع وجود الدونجون



أحد المداخل في منتصف الجهة الشرقية للقلعة

المواقع والتلال الأثرية في سهل جبلة

إن مواقع وتلال سهل جبلة المختلفة ضمَّت سويات أثرية مهمة تعود للنهضة المعمارية الثانية التي عرفتها مناطق سورية المختلفة وذلك في منتصف الألف الثالث ق.م «حوالي ٢٦٠٠ قبل الميلاد »، وقد تميزت هذه النهضة بقيام تنظيمات معمارية كان هدفها اقتصادياً وزراعياً، وكانت تربط مناطق الشرق الأدنى القديم المختلفة من الساحل السوري – اللبناني – الفلسطيني وحتى الهضبة الإيرانية مروراً ببادية الشام وبلاد الرافدين، وقد تميزت مواقع هذه النهضة في سهل جبلة بتنظيمات عامة على كامل السهل في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد، وأهم هذه المواقع هو تل سيانو الذي كشفت البعثة الوطنية خلال الموسمين السادس عشر والسابع عشر للعام الحالي عن أقسام مبنى إداري مهم ضم طبعات أختام تدل على وجود سلطة كانت تسيِّر أمور هذا المبنى ولها علاقة مع مواقع أخرى، كما كشفت أعمال التنقيب عن سويات تعود لنفس الفترة الزمنية وذلك في تلال التويني وسوكاس وداروك، ومع بداية الألف الثاني قبل الميلاد استوطنت المنطقة مجموعات أمورية قامت بإعادة تنظيم السهل بشكل عام، ونجد سويات هذه الفترة منتشرة بشكل كثيف في مواقع تل التويني وتل سوكاس وتل سيانو وقلعة الروس، أما الشواهد المعمارية الأكثر وضوحاً عن هذه الفترة الزمنية نجدها في تل التويني وتل إيريس حيث أوضحت التنقيبات الوطنية وجود مجموعات من المساكن المتراصة عند الأطراف الشرقية والشمالية من التل والتي أعطت أعمال الكشف عن أرضياتها مجموعة من اللقى والكسر الفخارية والتي تعود إلى تقاليد تصنيع ميسينية وقبرصية ومحلية.

خلال الألف الأول كانت المنطقة برمتها تحت السيطرة الآرامية التابعة لمملكة حماة، وبعد ذلك قامت مجموعة من المدن الفينيقية والتي لعبت دوراً تجارياً واقتصادياً من الدرجة الأولى، وتمت إعادة تنظيم العديد من المواقع وفق تخطيط معماري وعمراني مهم جداً، وتكشف بشكل واضح في موقع تل التويني، حيث ظهر وجود شبكة من الطرقات التي كان يتمحور عليها السكن منها الطريق المحوري الكبير وطريق محوري آخر يقطع الموقع من الشرق إلى الغرب، وقد ارتبطت مع هذه السويات الفينيقية مجموعة من المباني الدينية التي تتميز بمساحة متكاملة وذلك في مواقع التويني وسيانو وسوكاس، أما خلال العصور الكلاسيكية فقد انحسر الاستيطان على التلال الرئيسية في السهل لتتوضع بشكل رئيسي في مدينة جبلة التي عرفت فترة ازدهار خلال العصور الهلنستية والرومانية والبيزنطية والعربية الإسلامية، ونجد في بعض المواقع عدداً من الأبنية المحدودة التي تعود لهذه الفترات الزمنية، نذكر منها ما كُشف في تل سيانو ويعود لمجمع ديني من العصر الهلنيستي وبقايا التجمع الزراعي والصناعي «معصرة عنب» في تل التويني والذي يعود إلى العصر البيزنطي.

- تل سيانو:

يعتبر تل سيانو واحداً من أكبر خمسة تلال أثرية على الساحل السوري ويتمتع بموقع استراتيجي مهم يسيطر على كامل مناطق سهل جبلة، ويمكن مراقبة منطقتين منه وهما بانياس وسهل اللاذقية، وبالتالي فإن موقعه أعطاه أهمية لكي يلعب دوراً رئيسياً في بعض الفترات الزمنية، ويقع على بعد (٨) كم شرق مدينة جبلة وتحيط به قرية سيانو من ثلاث جهات، ويشغل سطحه مساحة ١٠ هكتارات. ويرتفع ٤٨ متراً عن مستوى السهل المحيط به و ١٥٠ متراً عن مستوى سطح البحر. صنفته المديرية العامة للآثار كموقع أثري عام ١٩٧٩.

أصـل الموقع تلـة طبيعية من الغضار البني الضـارب إلى الصفرة تراكمت فوقهـا الطبقات الأثريـة بارتفاعات مختلفة، وأعلى التل أجمـة تظلل بضعة قبور أهمها قبر الشيخ علي غانم الذي يحمل شاهدة قبر مؤرخة في القرن الثاني عشر الهجـري. والأشجـار في الأجمة وعلى بعض سطوح التل هي البلـوط والسنديان والصنوبر والزعرور وغيرها. وفي الوضع الراهن نجد أقساماً كبيرة من تل سيانو علـى شكل جروف متدرجة تزرع بالزيتون والحبـوب، وثمة بئر أثرية شهيرة فيها تعرف باسم بئر سيانو تقع إلى الجهة الغربية من القرية.

- **اكتشاف التل :**

أجـرت البعثة الأثرية الدنمركية بإدارة (بول-جـان ريس) مسحاً للتلال الأثرية في المنطقة الجنوبية من محافظة اللاذقية وركزت بشكل خاص على سهل جبلـة ولم تبلغ المناطق المرتفعة، ويعتبر تل سيانـو من أهم التلال التي قامت تلك البعثـة بمسحهـا عام ١٩٥٨، وقـد أشير مـراراً إلى أهمية تل سيانـو من الوجهة الأثرية مما دفـع الباحث أميل فورير لزيارته عام ١٩٣٤ وقدّر أنه عاصمة مملكة سيانـو التي تواترت قديمـاً أخبارها. في عام ١٩٩٠ اخترقت آليات شركة الري في اللاذقية الأجزاء الدنيا من التل بعمق شديد وانكشفت في الجهة الغربية من التل معـالم أثرية فأوقف العمل وتم تشكيل بعثـة أثرية سورية للتنقيب في التل المذكور، وبـدأت الأعمال في الموقـع منذ عام ١٩٩٠ وبشكل سنـوي وكانت الجهة الشمالية الغربية من التل قد تلقت ضربات معاول المنقبين الأولى.

- **سيانو في النصوص القديمة :**

نعـرف من نصوص أوغاريـت أن مملكتين صغيرتين في التخوم الجنوبية لتلك المملكـة تحمـلان اسم تـل سيانو واشتانـو متحدتين حينـاً ومنفصلتـين أحياناً، ومع اتحادهمـا كانت تتمتـع كل منهما بملك، والإجمـاع الآن أن تل سيانـو هو الذي تردد اسمه في النصوص القديمة أما اشتانو فهي في أحد مواقع ثلاثة يجب البحث عنها.

ورد اسم تل سيانو في رسائل تل العمارنة منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد وفي النصوص الأوغاريتية والحثية خلال القرنين الرابع والثالث عشر قبل الميلاد وفي حوليات المملكة الآشورية الحديثة في القرن العاشر حتى السابع قبل الميلاد.

- **السويات الأثرية في التل :**

السوية الأولى : سطح التل، وهذه السوية لا تحوي أية معالم أثرية وهي مكونة من مواد تعود للقرن الماضي.

السوية الثانية : تعود للقرن السابع عشر الميلادي وتتميز بوجود مجموعة من التنانير موزعة عند أطراف الموقع.

السويتان الثالثة والرابعة: (القرنان السادس والخامس قبل الميلاد) تشكلها جدران مبعثرة وجدت في المحيط الشرقي والجنوبي.

السوية الخامسة: (القرن الثامن قبل الميلاد) تتميز بوجود قلعة كبيرة تألفت من ثلاثة أقسام مع برج دفاعي ومدخل وجدران عريضة تصل سماكتها ما بين ٢٥٠ – ٣٥٠ سم

السوية السادسة: (القرن التاسع قبل الميلاد) تم الوصول إلى هذه الطبقة من خلال عدة أسبار حيث وجد إناء صغير مع جدران محفوظة بعدة مداميك وأرضيات متراكمة .

السوية السابعة : (البرونز القديم الثالث) نهاية الألف الثالثة قبل الميلاد تم الكشف عن حي سكني مؤلف من مجموعتين من الغرف المفصولة بزقاق شمالي جنوبي . المجموعة الغربية مؤلفة من أربع غرف أما المجموعة الشرقية فمؤلفة من غرفتين فيها أربع أرضيات لمراحل استيطان متلاحقة من التراب الأصفر المدكوك .



أعمال التنقيب في تل سيانو



مسكن كبير من الألف الثالث ق.م

- تل سوكاس :

يقع على الساحل مباشرةً ويتوسَّط المسافة تقريباً ما بين جبلة وعرب الملك وعلى بعد سبعة كليومترات جنوب مدينة جبلة. يرسم خط الشاطئ في جنوبه وشماله خليجين صغيرين متناظرين ومتساويين بمساحة تقدر بـ١٦٠ دونماً. وتنتهي إلى خليجه الجنوبي ساقية سوكاس الصغيرة التي تنبع من عين الدلبة، وتنتهي إلى خليجه الشمالي ساقية عين القصب وقبو سوكاس، وهما ساقيتان لا يتجاوز طول الواحدة منهما الـ٢كم، ترتفع هامة التل إلى +٢٣,٨م عن سطح البحر، يأخذ شكل مثلث قاعدته في الشمال وهامته في شماله الشرقي، ينبسط سطحه على ارتفاع ٢٣م وتنحدر جوانبه بميل واضح ولا سيَّما في منحدره الشمالي الغربي. ويصلح خليجاه لرسو المراكب البحرية الصغيرة لتأمن فيه خطر الأمواج العاتية.

القيمة التاريخية والدلالة الحضارية للموقع :

يأخذ التل شكلاً هرمياً يتألف قسمه العلوي من الأنقاض والأتربة، والسفلي من الصخور الكلسية، وكانت قبل الحفريات أكمة صغيرة بارزة عن الهضبة وعلى سطحها وجنباتها حجارة منحوتة وغشيمة تدل على وجود برج. وعلى منحدر التل الشمالي سنام مرتكز على نتوء صخري، وأكبر الظن أنه برج أو حصن خارجي. وكان في الجهة الغربية بقايا جدار من الحجارة المنحوتة، والمنحدرات: الشمالي والغربي والجنوبي كثيرة الانحدار، وللأكمة من الغرب قاعدة عريضة تحت القسم العلوي من المنحدر، ويشكل الصخر في غرب التل هضبة منخفضة قد حتّها البحر كثيراً. وفي هذه الناحية والناحية الشمالية من التل بقايا مقالع قد تكون استخدمت كملاّحات.

في عام ١٩٣٤ أجرى عالم سويسري عمليتي سبر بالتل، كما نفذت خمسة مواسم من الحفريات المنظمة بالتل بين عامي ١٩٥٨ وعام ١٩٦٣ من قبل بعثة دانمركية.

وفي عام ١٩٥٦ التقط السيد فيستي من سطح التل كسراً فخارية تمثل عهوداً تمتد من ٣٠٠٠ إلى ١٤٠٠ قبل الميلاد وهي تنطبق تماماً على ما وجده فورير في سبريه عام ١٩٣٤، وكان أحدهما بشكل خندق والثاني بشكل بئر، واستناداً إلى مذكرات فورير التي نشرتها مدام أريخ فغن فالطبقات لم تكن متماثلة في السبرين رغم أن عددها سبع في كليهما فالصخر في البئر وجد على

عمق٤,٥م. وأعمق طبقاته تعود لنهاية عصر البرونز، وبالمقابل فإن المستوى الأخير في الخندق يعود لحوالي ٢٨٠٠ ق.م والمستوى الخاص المحدد تاريخه بين ٢٤٩٩ – ٢٣٠٠ قبل الميلاد عثر فيه على جدار عريض جداً بارتفاع مترين اعتبره فورير الجدار الخارجي لأحد المعابد. وهناك طريق مواربة ممتدة في عدد من الطبقات المنخفضة في الخندق.

ويرى فورير أن الطبقة الأولى تضم بقايا مستعمرة يونانية كانت قائمة بين ٦٠٩ –٥٣٩ قبل الميلاد، ورغب نبوخذ نصر بإنشائها بعد معركة كركميش، وقضى عليها كورش فأصبح الموقع خالياً منذ ذلك الوقت، ولكن وجود الكسر الهلنسيتية والعربية يناقض ذلك.

وقد اعتقد فورير بادئ الأمر أن تل سوكاس هو مكان جبلة القديم قبل العهد الروماني، ثم اعتبرها فيما بعد في تل التويني وجعل تل سوكاس موقع پالتوس القديمة مستنداً إلى التأويل المذكور سابقاً وغير المقنع لتل سوكاس موقع پليتا. ولا يعتبر سكان المنطقة كلمة سوكاس عربية أو فينيقية بل يونانية، ويرى السيد هامر شيب الرأي نفسه مفترضاً أن في كلمة سوكاس انعكاساً لاسم يوناني، وفي نصوص رأس شمرة ذكر لمدينة باسم شوكسي موجودة بين أوغاريت وسيانو، ولكن من غير المحتمل أن اسم سوكاس الذي فيه الحرف الصوتي (آ) أطول حروفه مداً يمكن أن يكون مشتقاً من شوكسي بصرف النظر عن الموقع الجغرافي للتل.وذكر دوسو أشكالاً منوعة للاسم الحديث: سوفاس، شوكاس، وسوكات ولكن الارتكاز فيها جميعاً على المقطع الأخير.

وقد زالت الآن الخرائب التي رآها دوسو بقرب الخليج الجنوبي عند مصب النهر، والكسر الفخارية السطحية جنوب النهر تعود لما قبل الهيلينستيين، ومنها ما هو روماني أو أحدث عهداً. وهناك ما يدل على مداخل قبور، وعلى الرأس الصخري جنوب الخليج مقالع أو ملاحات، وعلى النهر آثار لجسر روماني أعيد بناؤه في العصر الوسيط.

وهناك جدول صغير يصب في الخليج الشمالي، والطريق تجتاز الجدول بقنطرة من العصر الوسيط، كما تظهر شمال الخليج بقايا مدافن رومانية أو بيزنطية محفورة في الصخر. وعلى الهضبة فوق تلك المدافن آثار فسيفساء وآجر وفخار وكسر مرمرية وحجار طواحين من العصر الروماني أو من العصر القديم المتأخر وعلى شاطئ البحر مقالع.

بدأت الحفريات في تل سوكاس يومٍ ٦ أيلول ١٩٥٨ وبلغت مساحة الحفريات ٦٧٧ متراً مربعاً تقريباً، وكان العمل بطيئاً وذلك بسبب العثور مباشرة تحت السطح على بقايا تحصينات، وبسبب طريقة البناء التي تتطلب انتباهاً بالغاً، فجدران البيت تبنى بالحجارة الغشيمة وبالطين وتجعل أرضية البيت من التراب مع خلطه بكسر الفخار لمعالجة الرطوبة، وكانت أرضيات البيوت تجدد بين وقت وآخر فكل بيت فيه عدد من الأرضيات فوق بعضها يصعب تمييزها عن بعضها خاصة إذا كانت سيئة الصنع أو تالفة، كما أن السكان يستخدمون لرصف أرضيات البيوت كل ما يقع تحت أيديهم من الكسر التي حتَّتها أمواج البحر. ويتعذر في مثل هذه الحالة الوصول على تأريخ صحيح عن طريق الكسر الفخارية، ولا يمكن ذلك إلا بعد تحرٍّ دقيق لإيجاد الكسر التي هي في مكانها الصحيح أو ما يدل منها على تأريخ صحيح، خاصة ونحن إزاء الفخار اليوناني الذي يسمح بتعيين الزمن بشكل محدد جداً، وطبيعي أن أحدث الكسر عهداً بين الكسر التي صنعت منها أرضية البيت هي التي تعين عهد إنشاء تلك الأرضية، كما أن أحدث القطع المكسورة التي يعثر عليها في مكانها فوق الأرضية هي التي تعين زمن انهيار البيت.

كشفت الحفريات عن حفرة أجراها رجال المدفعية في الحرب العالمية الأخيرة وخنادق تعود ترجيحاً للحرب العالمية الأولى، وأعمال الحربين قد أتلفت جزئياً التحصينات القديمة التي كانت مغيبة في الأرض وهي عبارة عن بقايا سور منحوت السطوح عرضه ١٥٠ سم وبرج كبير مقاييسه (٨×٩) م تقريباً مبني بنفس أسلوب السور لكن بعناية أقل إذ تتناوب في مداميكه حجارة كبيرة وصغيرة، وباب البرج في الواجهة الغربية، ويبدو أن السور والبرج قد تهدما إثر زلزال كما توجد آثار الحريق في بعض الأماكن الأخرى.

ونظراً للعثور في أسفل البرج على كسرة من الفخار الرصاصي المشابه لفخار مرفأ القديس سمعان من القرن الثالث عشر فإننا نرجح أن البرج بني بعد استعادة الصليبيين للمنطقة عام ١١٩٢، ووجود نقود إسلامية من القرن الرابع عشر مع الأحجار المنهارة من الجدران يميل إلى الاعتقاد بأن تهدم البرج حصل في زلزال ١٣٠٢ أو ١٣٠٣، أما الحريق فقد يكون معاصراً لاستيلاء السلطان قلاوون على جبلة عام ١٢٨٢ أو على قلعة المرقب عام ١٢٨٥.

ولقد شيد في القرن الرابع عشر في السنوات التي أعقبت الزلزال بناء بين الخرائب، إذ عُثر على جدران لاحقة فوق باب البرج وجدرانه المتهدمة.

ومن مكتشفات العصر الوسيط سراج وإبريق إسلاميان من النماذج التي عثر عليها في حماة (القرنين ١٣- ١٤) وأربعة أوانٍ قريبة من الخزف

المسمى العربي - هندي ولكنها مصنوعة من مادة سوداء أو رمادية مائلة للسواد عليها تزيينات تشكيلية أو محززة، تتشابه هذه الأواني مع الفخار الأسود الأوربي والراجح أنها من فخار الصليبيين العادي.

وليس من السهل معرفة اسم القلعة الصليبية في تل سوكاس إذ إنَّ هناك تشابهاً سطحياً بين سوكات وهو شكل من أشكال اسم سوكاس وبين بلدة كوكيت ذكرت عام ١٢٢٥ تابعة لأسقفية بانياس بين قلعة المرقب وكازلجوبار أي على مسافة قريبة من بانياس جنوب النهر المسمى نهر جوبار. وتنطبق كلمة كوكيت على أسماء حصون أخرى من نفس العصر أحدها حصن الكوكبة جنوبي بحيرة طبرية (يسمى الآن كوكب الهوا) . وكوشيه وكوكيه ومايشابههما يدل خاصة على الديك الذي كان يرفع على الحصون، كما أن الأبراج المسماة بالديوك معروفة جداً في تاريخ أوروبا الحربي، ولما كان تل سوكاس تابعاً لقرية العيدية فمن الممكن أن تكون القلعة التي كانت فوقه هي قلعة كازالسانكتيايجيدي المذكورة في عام ١١٦٧ كحصن لبلدا.

ويبدو أن الرابية لم يكن عليها مدينة أو قلعة في العهد الروماني أو البيزنطي أو العصر الوسيط المتقدم، فالبلدة الرومانية كانت واقعة على الخليج الشمالي وبقربها مدافن تم الكشف عن ثلاثة منها فتبين أنها من النوع المألوف، لكل منها درج وثلاثة معازب، وهي منهوبة قديماً وقد حطمت محتوياتها واتضح أن الأموات كانوا يسجَّون في توابيت فخارية والأثاث الجنائزي الذي عثر عليه كان عادياً.

أما العهود الأقدم فتتضح طبقاتها على أحسن وجه في التنقيبات الأخيرة حيث وجد تحت الأرض المفلوحة مباشرة الآثار الهيلنيستية، وهي عبارة عن جدران بيوت تهدمت في القرن الثاني ق.م، ولعل ذلك قد حصل عام ١٦٨ قبل الميلاد عندما اجتاح انطوخيوس الرابع الساحل الفينيقي كله، وهناك كنز هيلنيستي صغير مؤلف من عشرة نقود فضية عثر عليها في جرة مخبأة تحت الأرض في زاوية بيت، ولعل هذه النقود قد خبئت خلال الحروب السورية الثلاثة (٢٤٦-٢٤١) قبل الميلاد ومن أهم اللقى التي عثر عليها في تلك البيوت، القسم السفلي لتمثال فخاري صغير يمثل طفلين، وفي جانب آخر بيوت لها نفس الاتجاه، وكذلك في الورشة الجنوبية الشرقية جنوب البرج الصليبي. كما تم الكشف عن شارع مبلط بحجارة كبيرة غير منحوتة يمتد من الجنوب الشرقي للشمال الغربي وقد زال جزؤه الشرقي، كما أنه قطع بالسور العائد للعصر الوسيط.

كما وجدت تحت البيوت الهيلنيستية مبانٍ أخرى من قرون سابقة هُدمت لدى غزوة الفرعون تاخوس عام ٣٦ قبل الميلادً أو خلال ثورة الفينيقيين ضد

الفرس بين ٣٥-٣٤٣ قبل الميلاد أو عندما احتل الإسكندر الكبير فينيقيا عام ٣١٢ قبل الميلاد.

وتظهر الطوابق الدنيا من التل آثاراً ترجع إلى الألف السادس والألف الخامس قبل الميلاد أي إلى العصر الحجري النحاسي أو الحجري المصقول إذ وجدت قطعة من الحلي على شكل فأس ذي حدين من الحجر الرمادي الملون (السير بنتين) الشبيه بجلد الحية، كما وجدت أدوات وفخاريات تشبه مثيلات لها في أنطاكية ترجع إلى التاريخ ذاته.

وتم الكشف عن معبد للإله روشيف وقطع فنية مختلفة وأدوات من صنع مصري وأوغاريتي وقبرصي مع خاتم عليه كتابات قبرصية وختم إسطواني (نموذج رافدي) وقالب صغير لصنع تماثيل تشبه التماثيل الموجودة في معبد اللات في جبيل، عثر فيه على آثار من العصر الحديدي /١٢٠٠/ ق.م وعلى آثار يونانيّة . وعثر فيه على تمثال الآلهة عشتار وعلى أحجار مقدّسة مصريّة عليها اسم تحوتمس الثالث.

وفي الجانب الآخر من الحفريات لم يتم الوصول إلا إلى طبقة عصر الحديد الثاني التي تعود أحدث قطعها لمطلع القرن السادس قبل الميلاد، ولكن في إحدى الورشات استمر العمل حتى طبقة تعود للبرونز الحديث (الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد) كما تم الوصول في مكانين آخرين إلى طبقة من البرونز الأوسط الثاني.

وقد وجدت كسر كثيرة من الفخار اليوناني في بيوت عصر الحديد وكانت من الكثرة بحيث نستنتج أن أواني الأكل والشرب العادية كانت إما تستورد من اليونان أو تصنع في فينيقية بأيد يونانية، أما أواني المطبخ والمؤونة فقد كانت من صناعة محلية، وكانت القصعةً الأيونية تستخدم كإناء للشرب. وهناك بعض قطع مصنوعة من كلازومين منها صحن من المربع الثالث للقرن السادس قبل الميلاد وكسر من نوع فيكلورا وبعض كسر الجرار والأباريق اليونانية الشرقية المزينة بالخطوط المتماوجة، وكثير من الفخار الرودسي المتأخر من النصف الأول للقرن السادس وبعض كسر الفخار الرودسي من القرن السابع وأكثر المكتشفات اليونانية في تل سوكاس.

وجديرٌ بالذكر أن تل سوكاس كان ذا حضارةٍ مزدهرة خلال الألف الثاني قبل الميلاد معاصراً لأوغاريت، ولاقى مثلها ازدهاراً كما لاقى مثلها دماره على يد شعوب البحر الغازية التي ألحقت الخراب والدمار بحضارات الساحل السوري عام (١١٨٠ ق . م).

يقدِّم تل سوكاس مزيجاً حضارياً رفيع المستوى لعدة ثقافات أهمها الكنعانية الفينيقيــة والعربية الإسلامية، وكان مرفــؤه يوزع البضائع المحلية والمستوردة إلى عالم المتوسط، وقد شكل عبر تاريخه الطويل نقطة تواصل واتصال ثقافي وتجاري عبر المتوسط ما بين مدن من شرق المتوسط وغربه.

- الطبقات الأثرية والعصور التاريخية في تل سوكاس :

١ — عصر البرونز الوسيط :

يؤرخ ما بين عامي (١٩٠٠ — ١٧٥٠ قبل الميلاد) وقد تم العثور في سويات هذا العصر على هياكل عظمية متراكمة وكسر فخارية، كما تم الكشف عن قالب صغــير من الحجر لصنع تماثيل نذرية صغيرة تشابــه التماثيل المكتشفة في معبد المســلات في جبيل، وكذلك عثر على أجزاء من دواليب المرمر تشبه التي اكتشفت في جبيل.

٢ — عصر البرونز الحديث :

يــؤرخ مــا بين عامــي (١٦٠٠ — ١٢٠٠ قبل الميــلاد) كان الموقــع معاصراً لأوغاريــت ودلت عليه الفخاريات والأختام التــي تحمل مشاهد، وُجِدَتْ مماثلات لهــا في قبرص وفلسطين، كما أعطت هذه السوية الكثير من القصعات القبرصية المدهونة وأواني وتماثيل فينيقية وأختام إسطوانية فينيقية وجعران مصري.

٣ — العصـر اليوناني :

الوثائــق الأثريــة في تل سوكاس تدفع إلى تحديــد تمركز اليونان في التل في الفترة ما بين عامي (٨٤٤ — ٨٤٠ قبل الميلاد).

٤ — العصـر الحديدي :

المعــالم التي تعود لهــذا العصر تجسدت في بيــوت ومستودعات للمنتوجات الزراعية، دل على ذلك وجود بذور الزيتون المتفحمة، كما وجد الكثير من الفخار اليوناني مما يدعو للاستنتاج أن أواني الأكل والشرب العادية كانت مستوردة من اليونان أو تصنع في فينيقية بأيد يونانية، أما أواني الطبخ فكانت محلية.

٥ — العصـر الهلنستي :

وهــو عبارة عن جدران بيوت مهدمة يعود تاريخها للقرن الثاني قبل الميلاد حــوالي عــام ١٦٨ قبل الميلاد عندما اجتــاح أنطونيوس الرابــع الساحل الفينيقي كله.

٦ – العصر الروماني :

تشير الدلائل الأثرية أن البلدة الرومانية كانت واقعة في الخليج الشمالي وبقربها مدافن تم الكشف عن ثلاثة منها.

٧ – السوية الصليبية :

كشف في هذه السوية عن بقايا برج مهدم بفعل الزلازل قد بناه الصليبيون بعد استعادة المنطقة عام ١١٩٢ م .

٨ – السوية العربية الإسلامية :

من المكتشفات الأثرية الهامة لهذا العصر فخاريات منها أسرجة وإبريق من النماذج التي عثر عليها في حماة إضافة إلى نقود يعود تاريخها للقرن الرابع عشر الميلادي .



مخطط يوضح موقع التل



صورة جوية لتل سوكاس



تل سوكاس باتجاه الجنوب

- تل إيريس :

يقع تل إيريس في سهل جبلة على بعد ٨ كيلو متر إلى الجنوب الشرقي من مدينة جبلة في قرية تدعى رويسة الحجل، يرتفع عن محيطه حوالي ٢٠ متراً، وهو أحد المواقع الأثرية التي كشفتها البعثة الدنمركية عام ١٩٥٨ ميلادي.

ونظراً لأهمية التل قامت بعثة محلية بإجراء أسبار أثرية في التل المذكور للتعرف على هويته والحضارات التي تعاقبت عليه وأهميته التاريخية وبهدف معرفة التوضعات السكنية التي كانت منتشرة على أطراف التل، لأن قمة التل كانت تحوي توضعات عثمانية حديثة، وهذا العمل أدى إلى الكشف عن المزيد من الجدران التي ترتفع بمدماكين أو ثلاثة مداميك، إلا أنها تتصف بأنها بنيت بصفين من الحجارة الغشيمة غير المنتظمة ويوجد بينها حصى بحجم قبضة اليد تعمل على ملء الفراغ بين الحجارة مع إضافة الطين الرمادي، وهكذا كان يتم بناء جدران متماسكة فيما بينها.

أهم اللقى المكتشفة :

قطعة حجرية صغيرة عليها طبعة ختم تمثل الإله سين (إله القمر) وهي عبارة عن هلال له ساق والحجر هو من الهماتيت الأخضر (قالب للحلي) وجدت على أرضية جصية مع بعض القطع الفخارية الأخرى، وبالتالي نستطيع تأريخها حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد أي عصر الحديد الأول، بالإضافة إلى ذلك فقد تم دراسة مجموعة كبيرة من الكسر الفخارية المأخوذة من السويات المكتشفة المختلفة وتعود بشكل رئيسي إلى العصر الهلنستي وإلى العصور الفينيقية المتأخرة (الحديد الثاني)، وبالتالي تل إيريس من المواقع المهمَّة المرتبطة أو التي لها علاقة مع المواقع الواقعة في جنوب سهل جبلة. وبذلك فحضارة إيريس في الفترة ٤٠٠- ١١٠٠ قبل الميلاد لا علاقة لها مع الشمال (أوغاريت)، ومن هنا تأتي أهمية الموقع في عصر الحديد الأول والثاني والثالث (الفترة الفينيقية) حيث التشابه الكامل لمواقع سهل جبلة في الدور والتطور.

تم الكشف في تل إيريس عن السويات الأثرية التالية:

١- السوية العثمانية : وتقع على سطح التل ودلَّت عليها قطع نقدية عثمانية.

٢- السوية العائدة إلى العصر المملوكي : وتتألف من مجموعة من الجدران البسيطة يدل على وجودها الفخار المملوكي المتواجد بكثرة في هذا التل.

٣- السوية البيزنطية: تعود آثارها للقرنين الخامس والسادس الميلاديين وتتميز بوجود بعض الأبنية البسيطة.

٤- السويــة العائدة للعصر الهلنستي: وتتميز بوجـود بعض الأبنية الحجرية ولها انتشار واسع في سهل جبلة وتؤرخ للقرون الثلاثة قبل الميلاد .

٥- سويات عصر الحديد: وقد حفظت منها جدران حجرية ضخمة.

٦- سويــة البرونز الحديث: وتتميز بوجـود بناء ضخم عند قاعدة التل في الزاوية الشماليــة الشرقية، ومن أهــم معالمها في التل عمارة حجريــة بعدة مداميك، وتكتســب هذه السوية أهميتها من ارتباطها بموقع أوغاريت المجاور لها شمالاً. اكتشفــت في هذه السويــة مدافن محفورة في الصخر احتــوت على قطع أثرية وهيــاكل تؤرخ ما بين أعــوام ١٦٠٠-١٢٠٠ قبل الميلاد، كما تم العثور على عدد مــن الجرار الجنائزية، حيث نجــد الطريقة الكنعانية الممثلــة بدفن الأطفال داخل الجــرار، أهمها جرتان بداخلهما طفلان صغيران ، هذه الطريقة كانت متبعة في مواقع رأس شمرا وسوكاس والتويني وغيرها من الحضارات المنتشرة على طول ساحل بلاد الشام .

والجديــر بالذكــر أنه تم الكشف في الموســم ٢٠٠٧ في طبقات سوية عصر البرونــز الحديث على بعض القطع المهمَّة وخاصــة تحت طبقة الحريق الذي ارتبــط بتدمير وحرق مملكة أوغاريت من قبل شعوب البحر، حيث عثر تحت طبقــة الحريق على بعضــ الأدوات البازلتية التي تستخــدم للأعمال المنزلية اليوميــة مثــل مدقــات وساحقات حبــوب. وأمــا المكتشف الجديــد فقد تمثل بالعثــور ولأول مــرة في سهــل جبلة علــى منجل صواني مؤلف مــن ثلاث قطع صوانية تأخذ شكل انحناء، وكان يستخدم في موسم الحصاد، علماً بأنه عثر على مثيل له في حفريات أوغاريت في نفس فترة البرونز الحديث، وأيضاً عثر علــى طبعة ختم علــى سطح حوض فخــاري هي عبارة عــن حصانين يجران عربة فيها شخص ويجريان وراء غزال له قرون عالية، وهذه الطبعات تكشف لأول مرة في سهل جبلة .

٧- بالإضافة إلى سويات تعود إلى البرونز الوسيط كانت مربوطة مع مدفن محفور بالصخر تم الكشف عنه،

علماً أن هذا التل هو عبارة عن كتلة صخرية توضعت فوقها الحضارات السابقة.



صورة جوية لتل إيريس



صورة لبعض مناطق التنقيب في تل إيريس

- تل التويني :

يقـع تـل التويني شرق مدينة جبلـة على بعد ٣٥ كم مـن أوغاريت العاصمة الكنعانية الشهيرة (رأس شمرة). يقوم الموقع وسط سهل خصب على بعد حوالي ٣٠٠٠ م مـن شاطئ البحر، وكان على علاقة مباشرة مع مدينة جبلة. بدأت بعثة أثريـة سورية بلجيكية مشتركة منذ عـام ١٩٩٩ بالأعمال الأثرية التنقيبية لمعرفة تاريـخ التطور الحضاري لهـذا الموقع. ويحيط بالموقع العديد مـن المجاري المائية التي تصـب في البحر المتوسط منها نهر الرميلة ونهر الفوار، ويأخذ التل مسقطاً إجاصيـاً رأسـه يقـع في الجهة الغربيـة وتبلغ أبعـاده حـوالي ٤٠٠ م في حين تبلغ مساحته ١١،٦ هكتاراً وهو يرتفع عن السهل المحيط به من ١٥ حتى ٢٠ م. وكانت تهدف الأعمال المنفذة في الحقول المختلفة إلى الكشف عن السويات المختلفة التي تعـود إلى الفترات الممتدة من الألف الثالث ق.م وحتـى العصر البيزنطي، وذلك باستخدام التقنيات الحديثـة. وقد تم الكشف عن العديد من السويات المتلاحقة والتـي أعطتنـا العديـد مـن المعلومـات عن طبيعـة التطـور الحضـاري والتقني والاقتصـادي خـلال العديد مـن الحقب والعصـور. وتم الكشف خـلال المواسم الممتدة من عام ١٩٩٩ وحتى عام ٢٠٠٩ عن العديد من الأحياء السكنية والمنشآت التـي تعود بشـكل أساسي إلى عصري البرونز والحديـد والتي أعطتنا الكثير من المواد واللقى التي أرّخت بشكل دقيق حضارات تل التويني.

عصـور البرونـز: أدت أعمال التنقيب في العديد مـن الأسبار إلى الكشف عـن سويات سكنيـة تعود إلى الألف الثالـث قبل الميلاد، وكانـت الأسبار العميقة قـد مكّنت من الكشف عـن العديد من السويات المتلاحقة والتـي تعود إلى عصر البرونز القديم الثالث والرابع (٢٠٠٠-٢٥٠٠ قبل الميلاد). ولم تنتهِ هذه الأعمال حتى الموسم الأخير، وبالتالي لم يتم الكشف عن بدايات الاستيطان في هذا الموقع، ويعتقد أنهـا تعود للعصور الحجرية الحديثة (الألف السادس قبل الميلاد) وذلك استنـاداً إلى بعض اللقى التي وجدت في المنطقـة المحيطة بالتل والواقعة في سهل جبلـة. كمـا تم الكشف عن مدفنين ضخمين على علاقـة مباشرة مع بقايا سكنية

أرّخــت في عصــر البرونز الوسيط (النصف الأول مــن الألف الثاني قبل الميلاد) وكانــت التقاليــد الجنائزية في هــذه الفترة تقوم على دفن الموتــى تحت المساكن، وقــد تم التأكد من هذا التقليــد من خلال الكشف الاستثنائي لإحدى هذه المدافن الجماعية والمؤرخة في عصر البرونز الوسيط الثاني (حوالي ١٧٠٠ قبل الميلاد)، وجــدت داخل هذا المدفــن بقايا ٥٨ هيكلاً عظميــاً إنسانياً بأعمــار مختلفة، أما الأثــاث الجنائــزي فقد تألف من أكثر من ١٦٠ إناءً فخاريــاً حُفظت بشكل كامل، بالإضافــة إلى العديد من الدبابيس البرونزية ودمية للربّة «عشتار» مصنوعة من الفريــت، كما تم اكتشــاف عقد قلادة وختم إسطــواني، وتتألف القلادة من عدة حبــات من الخرز الفينيقي ونــوع من الحجر، يتوسطها ختم مــن حجر الكوارتز، كما تم العثور على ختم إسطواني يحوي على صور متعددة، منها شخص على شكل حيــوان يصارع حصانــاً مجنحاً يمثل مشهداً ميثولوجيــاً كان متعارفاً عليه كرمز للقــوة ويعود لعصــر الحديد الثاني (القرن الثامن قبل الميــلاد)، وعثر على وزنة بشــكل أسد وهي مصنوعة من البرونز وتعود لعصــر البرونز الحديث، وأيضاً تم العثور علــى نقد مــن الفضة على سطح الموقع بالحقل A حيــث وجدت على الوجه الأول للنقــد صورة أسد محــاط بكتابة عبارة عن كلمــة اوتريخت (UTREHT) والوجــه الثاني عليه صورة فارس في الجزء العلوي منــه، وفي السفلي أسد بحجم أصغر، والمشهد محاط بكتابة. ويؤرخ هذا النقد لعام ١٦٦٢م. ومصدر هذه القطعة من منطقة هولندا- بلجيكا والتي كانت في ذلك الوقت مقاطعة واحدة.

وكذلك يوجــد احتمالان لوجود هذه القطعة النقديــة في الموقع، فالاحتمال الأول يقــول بأن هذا النقد يعود لتاجر في المقاطعة المذكورة جاء لشراء القطن في هــذه المنطقة. والثاني يقول بوجــود شركة إنكليزية كان اسمها شركة المشرق ولها فــروع في حلــب وإنطاكية استخدمت هذه النقود لشــراء منتجات شرقية بمختلف أنواعها وتصديرها إلى أوروبا.

كما عثر على ختمين إسطوانيين من الغرانيت، وأحد الختمين يحمل صورة لشخصين متقابلين بينهما صولجــان وخلفهما مشهد مؤلف من غزالين متقابلين

بينهما عنصر زخرفي هندسي. وأمـا الختم الثاني فهو عبارة عن مشهد لشخص أمامه شجرة وخلفه حيوان محور ومحاط بعناصر زخرفية هندسية ونباتية، ويعود تاريـخ هذين الختمين لعصر البرونز الحديث. وأما المدفن الآخر الذي يعود لنفس الفـترة فقد ضم بقايـا عظمية لسيدة مع طفلها. وبالمقابل كشف في الحقل الثاني عـن مدفن جماعي يضـم هيكلين عظميين كمـا وجد أثاث جنائـزي تألف بشكل أساسي من بلطـة متطاولة من البرونز وإبريق كبير ثنائي اللون، وجد مايشابهها علـى طول الساحـل السوري – اللبناني في مدن مثل أوغاريـت وسوكاس وعمريت وجبيـل. وخـلال عصر البرونز الحديـث (النصف الثاني من الألـف الثاني قبل الميلاد) لعبت مدينة جبلـة (جبالا) دوراً هاماً وأساسياً في هذه المنطقة وأعطتنا الرُقُـم المسماريـة المكتشفـة في مدينـة أوغاريت العديـد من الوثائـق التاريخية والاقتصاديـة المهمَّـة اعتباراً من عـام ١٣٥٠ قبل الميلاد وحتـى سقوطها حوالي ١٢٠٠ قبـل الميلاد من جراء هجمات شعوب البحـر. وكان لمدينة جبالا نفوذ هام وأساسي، فالنص الأكادي الذي يعود لفترة حكم الملك الأوغاريتي نكميبا يتحدث عـن اتفاق بينه وبين عبد أنتـي ملك سيانو بهدف وضع الحـدود الجنوبية للملكة الأوغاريتية، ولقد تحدث هذا النص عن العديد من المدن والقرى التي كانت تتبع لملكتـي أوغاريت وسيانو، وكانت مدينة جبالا تحـت السيطرة الأوغاريتية. وأدى سقـوط مدينة أوغاريـت إلى الانهيار الكامل للمملكـة الأوغاريتية، وبالتالي زوال النظـام السياسي والاقتصادي في العديد من المـدن والمواقع، ومنها مدينة جبالا وموقع تل التويني. ونشير في هذا الصدد بأن تل التويني كان خلال عصر البرونز علـى علاقـة مباشرة مع البحـر وذلك من خـلال الخليج الداخلـي الذي يرتبط بعمـق الواجهة البحرية للشاطئ الساحلي، وهو عبارة عن الخليج المنفتح بصورة مباشرة باتجاه الغرب، وقد مكّنت الدراسات الجيومورفولوجية من تأكيد العديد مـن المعطيات التي تشير بشكل واضح لوجـود مرفأ كان على علاقة مع الموقع كما هـو الحال في مدينة جبلة. وقامت خلال الألـف الأول قبل الميلاد في منطقة سهل

جبلــة العديد من المدن والمواقع الرئيسية، نذكر منها: تل التويني وتل سوكاس وتل سيانو وكانت عبارةعن مدن ومناطق استيطانية فينيقية.

وقد كشف في الحقل (ب) عن مجمَّع ديني يعود للقرنين السادس والخامس قبــل الميلاد تألَّف من بناء ضخــم يتمحور حول منطقة رئيسية مقدسة، وعدد من الباحــات الخارجية والداخلية، ويأخذ الحيز الأكــثر قدسية شكل مستطيل يضم غرفتــين متتاليتــين وظيفتهما الدينية محــددة بصورة دقيقــة. بالمقابل كشف في الحقــل (آ) عن عــدد من المساكــن التي كانت تنتمــي إلى أحيــاء منظمة تندمج بصــورة كاملة مع التنظيم المعمــاري للموقع، ولقد ضمَّــت أرضيات هذه المساكن العديــد من البقايــا الأثرية، نذكر منهــا: أحواض عصر الزيتــون ومنشآت لعدد مــن الحرف اليدوية والزراعيــة البسيطة والتي كانــت في غالبيتها مؤرخة لعصر الحديد الثاني.

العصــور الكلاسيكية: تشــير النقود المكتشفة مــن العصور الكلاسيكية في أماكــن مختلفة من الساحل السوري إلى أنَّ مدينة جابالا كانت تقوم بسك النقود خلال القرن الثالث قبل الميلاد وذلك من خلال أنماط مشابهة مع تلك التي كانت تصدرهــا جزيــرة أرواد باستثناء الإشارة الواضحة لمدينة جابالا بحرفي ج – ب (جاما – بيتا).

أصبحــت مدينة جبلة اعتبــاراً من القرن الأول قبل الميــلاد مدينة مستقلة وبالتــالي بدأت تتطور بشكل واضح، بينما هجر تــل التويني بشكل كامل باستثناء بعضــ النشاطــات الزراعية لكــي يعود له النشــاط في العصــر البيزنطي وبشكل بسيط من خلال بعض المزارع والمنشآت الصناعية التي كانت تنتشر بشكل متقطع علــى سطــح التل نذكر منها ما كشف في الحقــل (ب) وهي عبارة عن مزرعة يتم فيها تصنيــع النبيذ بالإضافة إلى القيام بالعديد من النشاطات الزراعية وتربية الماشية.

وقــد ذكــرت الحوليــات الآشوريــة (٨٥٨ أو ٨٤٤ قبل الميــلاد) العديد من الحمــلات التــي تمَّت في المنطقــة وقــد أدَّى بعضها إلى تخريــب العديد من المدن

والمناطـق، منها تل سوكاس خلال حملة سلمنصر الثالـث، كذلك يمكن أن نذكر حملـة تكلا تبلاصر الثالث التي وصلت إلى ساحل البحر المتوسط، وكانت في ذلك الزمـن مدينـة سيانو قد ضمت التحالـف الآرامي تحت أمرة مدينـة حماة والتي سقطت بشكل نهائي في حوالي ٧٢٠ قبل الميلاد من جراء الاجتياح الآشوري تحت أمرة الملك سارغون الثاني. وتذكر الوثائق التي تعود للقرن الثالث قبل الميلاد بأن الفرعـون المصري أبريس ٥٨٨ قبل الميلاد والملك البابلي نابونيد ٥٥٠ قبل الميلاد قد قاما بحملة اعتقالات في هذه المنطقة وذلك من خلال الغزوات العسكرية التي قاما بهـا والتي كان لها العديد مـن التأثيرات السياسيـة والاقتصادية في منطقة سهل جبلة، وعلى الخصوص في مواقع ومدن مثل جبلة وتل سوكاس وتل سيانو والتي لعبت أدواراً أساسية في التبادلات التجارية بين المناطق المشرقية وبحر إيجه.

وصل تأريخ التل إلى السويات والعصور التالية حسب الجدول التالي:

١	السطح والقبور الفردية	القرن التاسع عشر الميلادي
٢	البيزنطي	القرنان السادس والسابع الميلاديان
٣	الروماني	القرن الرابع الميلادي
٤	الهيلنستي	القرن الثاني قبل الميلاد
٥	الحديد الثالث	القرن السادس - الخامس قبل الميلاد
٦	الحديد الثاني	القرن التاسع - الثامن - السابع قبل الميلاد
٧	الحديد الأول	القرن الحادي عشر - العاشر قبل الميلاد
٨	البرونز الحديث الثالث - الثاني	القرن الخامس عشر –القرن الثاني عشر قبل الميلاد
٩	البرونز الحديث الأول	القرن السادس عشر –القرن الخامس عشر قبل الميلاد
١٠	البرونز الوسيط الثاني	القرن الثامن عشر – القرن السادس عشر قبل الميلاد
١١	البرونز الوسيط الأول	بداية الألف الثاني قبل الميلاد
١٢	البرونز القديم الرابع	القرن الرابع والعشرون – القرن الواحد والعشرون قبل الميلاد
١٣	البرونز القديم الثالث	القرن السادس والعشرون– القرن الخامس والعشرون قبل الميلاد



صورة تبين تأهيل تل التويني



صورة جوية لتل التويني



عناصر معمارية من سوية عصر البرونز الحديث المتأخر



معصرة من السوية الفينيقية المبكرة من الحديد الثاني



صورة عامة للمجمع الديني المكتشف في الحقل (ب)
والذي يعود لعصر الحديد الثالث



ختم اسطواني من الفريت يعود إلى عصر البرونز الحديث



كؤوس من الفخار تعود لعصر الحديد الثاني



جرن من البازلت يعود إلى عصر الحديد الثاني





أجزاء من دمى إنسانية تعود لعصر الحديد الثالث

- تل الدّاروك:

يقع تل داروك على الضفّة اليسرى لنهر السن ويبعد حوالي ٩كم شمال بانياس وحوالي ١٠كم جنوب جبلة ويبعد حوالي ٢كم عن البحر ويرتفع عنه ٢٠ م بينما يبلغ ارتفاعه ١٣م عن مستوى السهل المحيط. أبعاد التل في القمة ١٠٠×٤٠ م

يعرف التل تحت اسم تل داروك Darūk.

ذكر التل العائد للقرنين التاسع- الثامن قبل الميلاد في المصادر الأشورية على أنَّه قرية ملكية تحت اسم (USNU- USANA). كما ذكر في نصوص أوغاريت في القرن الرابع عشر قبل الميلاد تحت اسم (USNATU).

لوحظ التل من قبل بعثة المسح الدنمركية العاملة في منطقة جبلة سنة ١٩٥٨ حيث قررت البعثة القيام بأعمال سبر أثري للموقع بهدف كشف تاريخه وتحديد تسلسله الطبقي. نفذت البعثة سنة ١٩٥٩ سبراً رئيسياً في قمة التل بلغت أبعاده ٣×٣م وبلغ عمق السبر ١١،٧٥ م وصولاً إلى الصخر الطبيعي. كما نفذت البعثة أعمال تنقيب على نطاق ضيق بالمنطقة المحيطة بالسبر .

أدَّت أعمال التنقيب في السبر الرئيسي إلى تحديد ٣٦ طبقة أثرية أعطت فكرة عن التسلسل الطبقي للموقع على النحوالتالي :

- العصر الحجري النحاسي.
- عصر البرونز الوسيط.
- عصر البرونز الحديث.
- عصر الحديد.
- الفترة الكلاسيكية.
- فترة العصور الوسطى.

أماأعمال التنقيب المرافقة للسبر الرئيسي فاقتصرت على الطبقات العائدة للعصور الوسطى والتي أسفرت عن كشف بقايا أبنية ومخلفات معمارية

يرجـح أنهـا تمثل بناءً دفاعيـاً. فيما يخصـص المكتشفات السطحيـة تمثلت بشكل أساسـي بالكسر الفخارية والتي تم الاعتماد عليها بشكل أساسي في عملية تحديد الفترات التاريخية للطبقات الأثرية. إضافة إلى بقايا قطع معدنية ونقود ساعدت في تأريخ الطبقات.



منظر جوي لتل الداروك عام ١٩٥٨

-تل المصيطبة :

يقــع تل المصيطبة جنوب شرق ميناء جبلــة القديم، على الحدود الجنوبية الغربيــة من المدينة القديمة، بدأ العمل في الموقــع منذ عام ٢٠٠١. وقد تم تحديد ثلاثة أسبار على الحدود الغربية والجنوبية الغربية والشمالية الغربية للموقع.

أظهرت أعمال التنقيب في الكشف عن السويات الأثرية التالية :

١- السوية الأولى : تعود للفترة العثمانية.

٢- السوية الثانية : تعود للفترة المملوكية.

٣- السوية الثالثة : تعود للفترة الأيوبية.

٤- السوية الرابعة : تعود للقرنين ١٠-١١ الميلاديين.

٥- السوية الخامسة : تعود لنهاية العصر البيزنطي وبداية العصر الأموي.

٦- السوية السادسة : تعود للعصر البيزنطي.

٧- السوية السابعة : تعود للعصر الروماني.

٨- السوية الثامنة : تعود للعصر الهلينستي.



صورة جوية لموقع المصيطبة



سراج من الفخار



مشبك من العظم



مثعبان لأبريقين على شكل رؤوس حيوانات

- تل السخابة :

يقـع تل السخابة جنوب شرق مدينة جبلـة ويرتفع عن سطح البحر حوالي ٤٥ م، ويبلـغ ارتفـاع التل عن السهل المحيط ١٠ م . يعـرف التل بهذا الاسم نسبة إلى قرية السخابة.

لاتوجـد دراسات أو أي أعمـال تنقيب في الموقع وخلال أعمال المسح الأثري للبعثة الدنمركية سنة ١٩٥٨ لوحظ الموقع وتم تدوين بعض الملاحظات حوله، كما تم جمع مجموعة من الكسر الفخارية ودراستها بهدف تحديد الفترات التاريخية المحتملة للتل من خلال اللقى السطحية .

قدمـت دراسة الفخار نتائـج أولية تساعد في تحديد تاريخ أولي للتل والذي تمثل بكل من :

- عصر البرونز.
- عصر الحديد.
- العصور الكلاسيكية (هلنستي روماني).
- فترة عصور وسطى (إسلامي – إفرنجي).

شوهـد على السطح وجود بقايـا جدران وعناصر معماريـة تعود إلى فترة العصـور الوسطى، كما وجدت بقايا معصرة زيتون، إضافة إلى عناصر معمارية معاد استخدامها في بناء جدران حديثة.

منظر عام لتل السخابة



- عرب الملك (بلد الملك = بالتوس) و(السن أوسنو):

تقـع عرب الملك علـى الضفّة الشماليّـة لمصبّ نهر السن وعلـى بعد ١١كم جنوب مدينة جبلة، كانت تسميتها قبل سيادة اللغة العربية بالتوس ثم أخذت اسم بلـد الملك. كانت بالتوس موقعاً لمدينة فينيقيّة في القـرن الثالث عشرقبل الميلاد. وكانـت عظيمة البناء محصنة فتحهـا المسلمون عام سبعة عشـر للهجرةوسمّاها المؤرخـون العرب بُلـده. استولى عليهـا الصليبيّـون إلى أن حرّرهـا صلاح الدين الأيوبي في القرن الحادي عشر للميلاد. وكانت قد شيدت قبلها وفي جوارها كل من بالسينين (المذكورة في التوراة) المسماة حالياً سن الدرب وأوسنووسوكاس.

تأخذ عرب الملك أهميتها التاريخية والأثرية من خلال وفرة المناطق الأثرية المجـاورة لها، إضافة إلى المعمورات التي مازالـت مدفونة والتي يحتمل اكتشافها بجوارها تبعـاً للمعطيات التاريخية المدونة في الكتب القديمة والرُّقُم، وقد وجدت علـى منحدراتها المطلة علـى البحر أعمـدة وباحات أرضية مـن الحجر الكلسي تضـاف إليها جدران مبانٍ ترجع إلى العهد الروماني. استعمل السكان المجاورون بعض حجارتها في تشييد بعض المقابر الحديثة وبعض مباني بلدة بانياس.

وقد تركزت هذه الآثار في الموضع المسمى حالياً ظهر المغار. كما جمعت من منحـدرات عرب الملك علـى شاطئ البحر كسر فخارية يعـود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد وكسر فخارية أخرى ذات طابع فينيقي.

أمـا بلدة عـرب الملك الحالية فليست إلا قرية صغـيرة وادعة تمتد طولانياً علـى امتداد الساحل باتجاه جنوب شمال. وقد اندثر في جنوبها مجرى نهر السن الأصيـل بعـد أن حولـت مياهـه إلى أقنية الـري المختلفة التي تـروي عرب الملك والقسـم الأكبر من سهول جبلة واللاذقية. كما شيـدت فوقه الطرقات الإسفلتية والحديديـة. تتميز القرية من بعيد بمساكنها الناصعة البياض .تتخللها الأشجار العاليـة ويتوسطها مسجد. وهـي ككل تأخذ مظهر جزيـرة بيضاء وسط الحقول المحروثـة والمزروعـة والأشجـار الخضـراء. يفصلهـا عن البحر جـرف صخري مشرشر تدنوه عتبة بحرية صخرية وفيرة الحفر.



صورة جوية نادرة لبلدة عرب الملك عام١٩٥٠



جسر عرب الملك

كمـا عثر شمال قريـة عرب الملك الأثرية على نصـب جنائزي منحوت من الحجر الرملي المعروف في المنطقة، حيث تم نقله إلى مدرج جبلة.

يعـود النصب إلى أحد المدافن الرومانية ولكن لم يتم العثور عليه في مكانه الأصلـي إذ إنَّـه يمثـل نصباً تذكاريـاً جنائزياً لإحـدى الشخصيـات الرومانية، (أبعـاده ١٧٥ × ٦٠ × ٥٢) سـم مـع قاعـدة بأبعاد (٣٧×٢٨×١٦سـم). بشكل عـام يأخذ النصب شكلاً مشابهاً لواجهـات الأبنية الرومانية، حيث يعلو القاعدة نحـت لعمودين من الطراز الأيوني تعلوهما واجهة مثلثية تحوي نصاً كتابياً باللغة اليونانيـة Νουμηνίου (هـذا نومينوس) مما يدل أن المدفـن يعود لنومينوس. يتوسط النصب نحت لامرأة بوضعية الوقوف ترتدي ثوباً طويلاً يعرف «بالتونيكا»، تضـع يدهـا اليمنى على صدرها أما اليد اليسـرى فمنسدلة نحو الأسفل وتمسك بهـا شيئاً غـير واضح المعالم. أمـا الوجه فمفقود الجزء الأكـبر منه. هذا ويزين الرقبـة طوق ينتهي بقلادة صغـيرة. يعود تاريخ النصب للفـترة الرومانية مابين القرنين الأول والثالث الميلاديين.



نصب جنائزي

عين سالم :

أسفــرت أعمــال الكشــف عــن وجود لوحــة مــن الفسيفساء تعــود للعصر البيزنطــي في قرية عين سالم التابعــة لناحية عين الشرقيةبالقرب من أوتوستراد بيــت ياشوط، وعلى بعد ٢٥ كم جنوب شــرق جبلة. ظهرت اللوحة أثناء قيام أحد المزارعــين بأعمال زراعية. جرى الكشف عن جزء منها بطول حوالي١٠م وعرض ٨ م ومــا يزال قسم منها تحــت التراب، وتحتوي رسومات لأحيــاء بحرية وأخرى لحيوانــات برية مصنوعــة من حبيبات أو مكعبات حجريــة بألوان مختلفة، وتعود هذه اللوحة إلى أرضية كنيسة، والتي تتألف من أربعة مشاهد، الأول يمثل الحياة البحرية وفيه مجموعة من الأسماك والأحياء البحرية،المشهد الثاني يمثل الحياة البرية وفيــه أسد ولبوة وتتوسطهما شجرة، إضافــة لغزالين بينهما عدة أشجار، وهــي ذات رموز ودلالات معينة في تلك الفترة، كما يوجد قاعدة إسطوانية الشكل لعمــود مــن الحجر الكلسي، ومن الجهــة الشرقية للموقع ظهــرت بقايا جدار من مدماك واحديحتوي أحجاراً مشغولة بزخرفات وأشكال هندسية متعددة.كما عثر على نقد برونزي خلال موسم أعمال ٢٠١٠، وبعد إجراء أعمال التنظيف والحفظ اللازمــة توضح شــكل النقدوهو عبارة عــن فلس مصنوع مــن البرونز قطره٤،٣ سـم. على الوجه الأمامــي :رسم يمثل القســم الأعلى من شخصيــة الإمبراطور بزيــه الرسمي أحيط بشريط كتابي باللغة اللاتينيــة ترجمتها (سيدنا جوستنيان هــو دائمــاً ملك) وعلى الوجــه الخلفي : في المركز حرف M أحيــط بكتابات تدل علــى مكان وتاريخ ضرب النقد «سنة ١٢» (مــن حكم جوستنيان) =٥٣٨- ٥٣٩ ميلادية . من الأسفل كتب con قسطنطينية.إشارة إلى مكان الضرب . وتعد هذه اللوحة الفسيفسائية من اللوحات النادرة في المنطقة الساحلية.





نقد من البرونز يعود للعصر البيزنطي



منظر عام لأرضية الفسيفساء



جزء من لوحة الفسيفساء

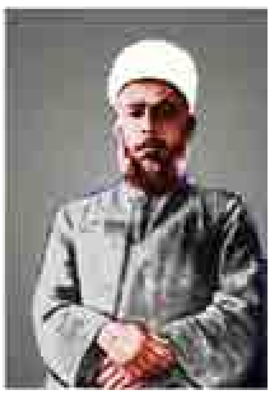
- أعلام جبلة:

مـن أعلام جبلـة المشهوريـن الشيخ الثائر عـز الدين القسّـام وفي الأدب أدونيسـ ونـديم محمد وفي الفن شيخ النحاتين سعيد مخلـوف وفي الرياضة بطل العالم في السباحة الطويلة محمد زيتون وكذلك أبطال العالم ماهر صالح ومروان صالـح وأحمد الحسين.وحـاز فريقها لكرة القدم على بطولـة دوري سورية لأربع مرات ومرة على كأس الجمهورية ونال فريقها لكرة الطاولة للرجال بطولة سورية واحتكر فريقها للسيدات والناشئات بطولة سورية سنوات عديدة.

عز الدّين القسَّام:

ولد عز الدين القسام في مدينة جبلة عام ١٨٨٢م من أسرة محافظة تهتم بعلـوم الدين، تابـع الشهيد دراسته العلمية والدينيـة في مصر بالأزهر الشريف، وعـاد إلى مدينة جبلة عام ١٩٠٤ م ليكون خطيباً في مساجدها، وفي عام١٩١١ م قـاد مظاهرة ضد الغزو الإيطالي لليبيا. وعرف بأنـه أول من حمل السلاح أثناء الاحتـلال الفرنسـي لسوريـة، وكان أول المواجهين لهم. وقد حُكـم عليه بالإعدام لذلك توجه إلى فلسطين عام١٩٢٢م ليعزز تجربته النضالية التي بدأها في سورية ومواصلة حركته الجهادية.

عمـل الشهيد عز الدين على بناء تنظيم عسكـري عقائدي إسلامي وفجَّر المقاومـة ضد الاحتلال البريطاني اليهودي ليستشهد في معركة بقضاء جنين ليلة ٢٠/ ١١/ ١٩٣٥م وهـو يواجه قوات الاحتلال البريطـاني ليكون استشهاده بداية الثـورة الفلسطينية الكبرى عـام ١٩٣٦ ومنهلاً وقدوة لكل مـن يريد الخوض في مضمار الحركة الجهادية النضالية.



الشيخ عز الدين القسَّام

بطل العالم في السباحة محمد زيتون :

ولـد محمد زيتون في جزيرة أرواد عـام ١٩٤٢ م وسط بيئة بحرية كادحة، والـده محمد لطفي زيتـون، شبَ وترعرع في مدينة جبلة وعمـل في ورشات البناء ومقالـع الحجـارة في شقيفات جبلة، والحـدادة وبحاراً علـى زوارق الصيد.تمتع بقدرات بدنية مميزة في حياته.

فـاز ببطولة العـالم في سباحة المسافات الطويلة في سبـاق كابري- نابولي بإيطاليـا ثـلاث مـرات في السنـوات (١٩٦٠ -١٩٦١ - ١٩٦٤م) لمسافـة ٣٨ كم مسجلاً عام ١٩٦١ م رقماً قياسياً مقداره ٨ ساعات و ٤٥ دقيقة بفارق زمني يزيد ساعة عن البطل الذي يليه مباشرة.

منحـه الرئيـس الراحل جمال عبـد الناصر عـام ١٩٦٠ م رتبة ملازم أول شـرف في القـوى البحريـة، وقلده أرفـع أوسمة الدولـة (وسـام الاستحقاق من الدرجـة الأولى) ثلاث مرات تقديراً لمواقفـه البطولية والوطنية النبيلة في تمثيل بلاده في المحافل العالميـة. وكان أصغر الأبطال سناً، وعرف في الصحافة بألقاب (معجزة السباحة، البطل الأسطورة، النفاثة المائية).توفي يوم الأحد في ٢١ / ٩ / ١٩٦٤ م إثر حادث أليم على ضفة قناة السويس. ونعاه الرئيس جمال عبد الناصر بمرسوم جمهوري بالبطل الشهيد وأعلن عليه الحداد الوطني.



بطل العالم في السباحة

محمد زيتون

- بطل العالم في السباحة ماهر صالح :

ولد ماهر بن محمد صالح في مدينة جبلة عام ١٩٥٢ م وحصل على بطولة العالم كابري - نابولي عام ١٩٧٧ م.



بطل العالم في السباحة ماهر صالح

- بطل العالم في السباحة مروان صالح :

إن الحديث عن البطل مروان بن محمد صالح يعني الحديث عن المجد الرياضي الذي حققه القطر العربي السوري في ميدان سباحة المسافات الطويلة. ولد السباح مروان صالح عام ١٩٤٦ م في مدينة جبلة حي الصليب. وحصل على بطولة العالم في السباحة الطويلة لمسافة ٣٥ كم في سباق كابري نابولي إيطاليا، منح السباح مروان لقب سباح بطولة العالم الرسمية للسباحة الطويلة مدة ١٢ عاماً. كُرّم من قبل القائد الخالد حافظ الأسد رئيس الجمهورية العربية السورية، ونال وسام الرياضة من الدرجة الأولى من قبل الرئيس المصري.



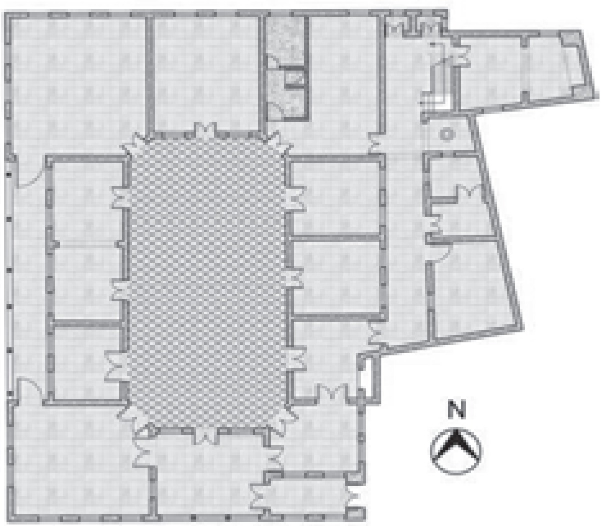
بطل العالم في السباحة مروان صالح

مخططات توثيق وصور بعض البيوت القديمة في جبلة :

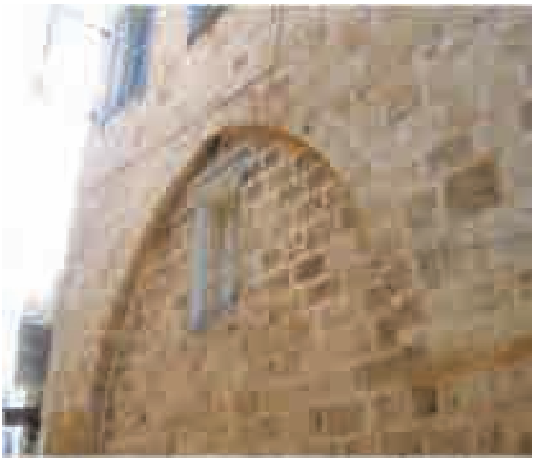
قصر علي أديب :



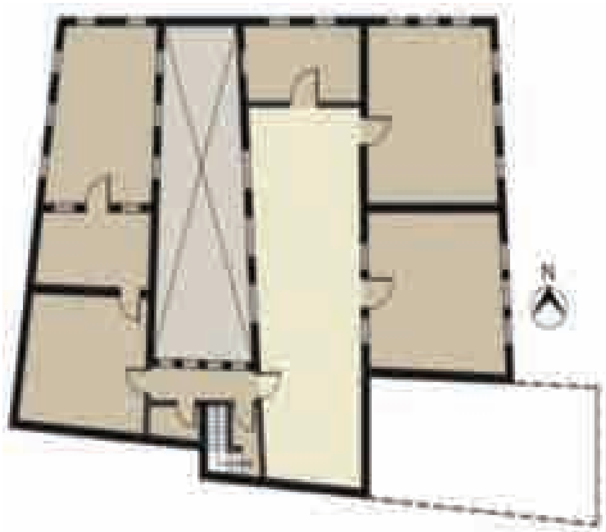




بيت المحكمة :





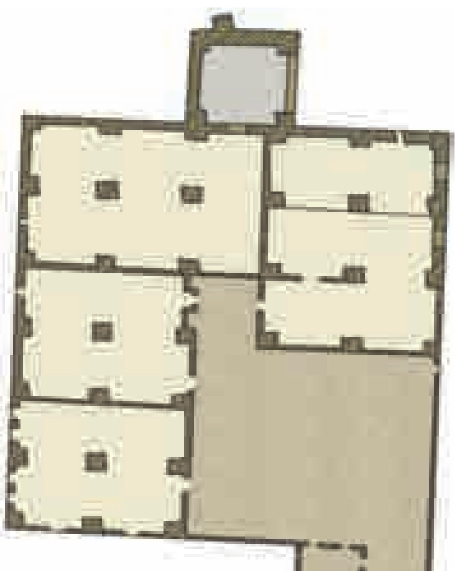




قصر المفتي :



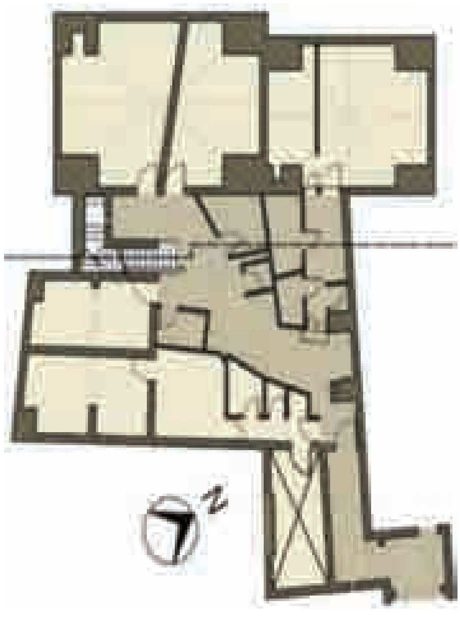




بيت الراهبات :







بيت الآغـا :







Floor 1- 1/100

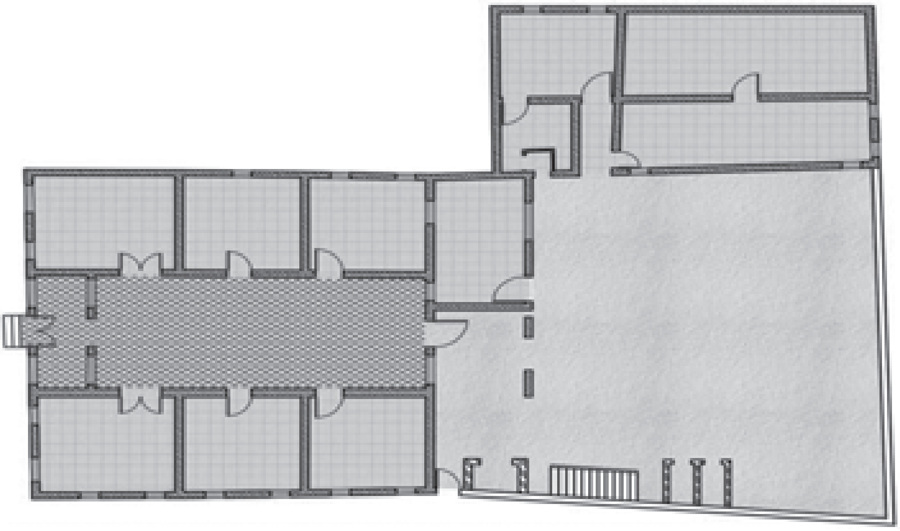


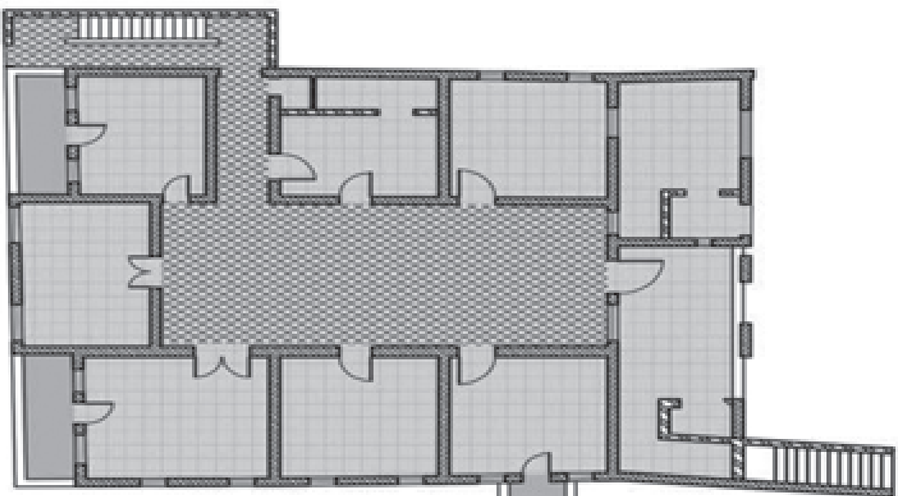
Floor 2- 1/100

مدرسة الحكمة :









بيت الروضة :





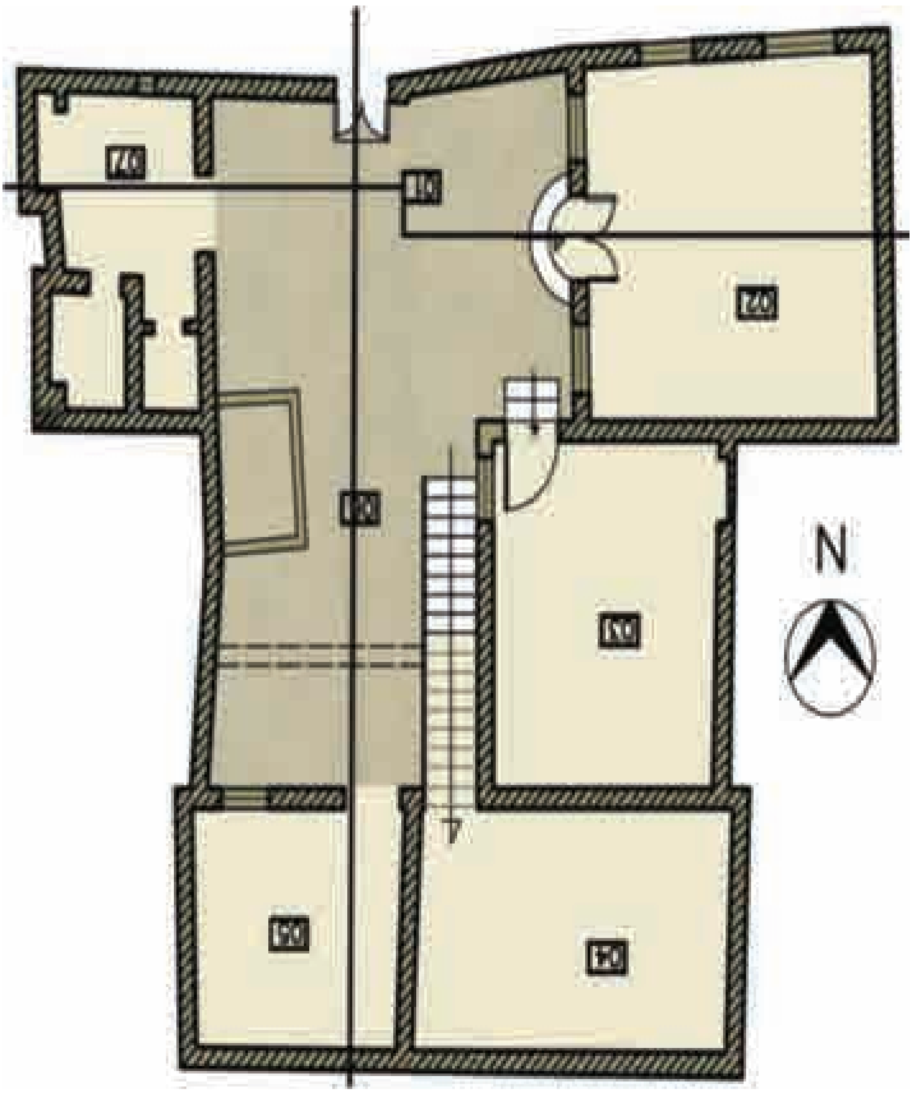




بيت يونس :







بيت كردية :







- صور مواقع أثرية وسياحية في منطقة جبلة :



مطار باسل الأسد الدولي



شلالات وادي القلع



شلالات وادي القلع



قرية الدالية - وادي القلع



الثلوج على قمم جبال منطقة جبلة



طبيعة جبال منطقة جبلة



المتنزَّهات ضمن جبال منطقة جبلة

مصادر البحث

اللغة العربية:

- **الأعمال الميدانية المباشرة في المواقع الأثرية.**

- **أثناسيو، ١٩٩٧ :**

متري هاجي أثناسيو، سورية المسيحية في الألف الأول الميلادي، مجلد الأول، الطبعة الأولى، بيروت.

- **بدوي، ٢٠٠٤-٢٠٠٥ :**

مسعود بدوي ، « الفخار الأحمر المطبع في موقع المصيطبة »، الحوليات الأثرية العربية السورية، المجلد ٤٧-٤٨، دمشق، ص. ٢٠٥-٢١٦.

- **جغنون، ٢٠٠٧ :**

ملاتيوسجغنون، محاضرة ضمن مهرجان جبلة الثقافي، جبلة.

- **حطاب، ٢٠٠٣ :**

محمد جميل حطاب، **معجم معاني أسماء المدن والقرى في محافظة اللاذقية**، اللاذقية.

- **خليل، ١٩٩٦ :**

جابر علي خليل، ديوان ضفائر من خيوط الشمس، اللاذقية.

- **خيربك، ١٩٨٢ :**

ماجد خيربك، المختصر في تاريخ جبلة، بيروت.

- **سعادة، ١٩٦٠ :**

جبرائيل سعادة، محافظة اللاذقية، دمشق.

- **ريس، ١٩٥٨-١٩٥٩ :**

بول-جان ريس، « نشاط البعثة الأثرية الدنمركية على الساحل الفينيقي في عام ١٩٥٨ »، المجلدان ٨-٩، تعريب وتلخيص عدنان البني، ص. ٢٢٧-٢٣٨، دمشق.

- **وثائق المديرية العامة للآثار والمتاحف.**
- **وثائق دائرة آثار جبلة.**
- **وثائق مديرية المالية.**
- **وثائق مديرية الزراعة.**
- **وثائق مديرية المصالح العقارية.**
- **وثائق المكتب المركزي للإحصاء.**
- **وثائق المحكمة الشرعية.**
- **وثائق إدارة المساحة.**

المراجع الأجنبية :

AL-MAQDISSI, 2004 :

Michel Al-Maqdissi, «Tell Sïanu», Le royaume d'Ougarit aux origines de l'alphabet, Direction de l'ouvrage : Geneviève Galliano et Yves Calvet, Lyon, 2004, p. 110-112.

AL-MAQDISSI, 2006 :

Michel Al-Maqdissi, «Notes d'archéologie levantine VIII. Stratigraphie du chantier B de tellSïanu (plaine de Jablé)», Syria, tome 83, p. 229-245.

AL-MAQDISSI, LERBERGHE, BRETSCHNEIDER, BADAWI, 2004 :

Michel Al-Maqdissi, Karel Van Lerberghe, Joachim Bretschneider, Massoud Badawi, Tell Tweini, Le royaume d'Ougarit aux origines de l'alphabet, Direction de l'ouvrage : Geneviève Galliano et Yves Calvet, Lyon, 2004, p. 60-61.

AL-MAQDISSI, LERBERGHE, BRETSCHNEIDER, BADAWI, 2007 :

Michel Al-Maqdissi, Karel Van Lerberghe, Joachim Bretschneider, MasaoudBadawi, Tell Tweini, Document d'ArchéologieSyrienne X, Damas.

AL-MAQDISSI, SOULEIMAN, 2004 :

Michel Al-Maqdissi, AntoinSouleiman, «Tell Iris», Le royaume d'Ougarit aux origines de l'alphabet, Direction de l'ouvrage : Geneviève Galliano et Yves Calvet, Lyon, 2004, p. 64.

BADAWI, 2007 :

Massoud Badawi, «Huit tombes hellénistique et romaine à Jablé», Syria, tome 84, p. 185-204.

BADAWI, 2009 :

Massoud Badawi, (Syrie) et son territoire à l’époque hellénistique et romaine : développement urbain et culture matérielle, (thèse pour le doctorat Art et Archéologie), inédite, Paris.

DUSSAUD, 1927 :

René Dussaud, Topographie historique de la Syrie antique et médiévale, Paris.

FREZOULS, 1952 :

Edmond Frézouls, «Le théâtre romain de Syrie», AAAS, tome II, Damas, p. 46-100.

FUGMANN, 2004 :

E. Fugmann, Jabla 1958-1961,Copenhagen.

JACQUOT, 1929 :

Paul Jacquot, L’état des Alaouites, Beyrouth.

RENAN, 1864 :

Ernest Renan, Mission de Phénicie, Imprimerie Nationale, Paris.

RIIS, 1960 :

Paul-Jean Riis, «L’activité de la mission archéologique danoise sur la côte Phénicienne en 1959», AAAS, Tome X, Damas, p. 111-132.

RIIS, 1961-1962 :

Paul-Jean Riis, «L’activité de la mission archéologique danoise sur la côte Phénicienne en 1960, AAAS, tomes XI et XII, p. 133-144.

RIIS, THUESEN, LUND and RIIS, 2004 :

Paul-Jean Riis, IngolfThuesen, John Lund and Thomas Riis, Topographical studiesin the Gabla plain, Publication of the Carlsberg expedition to Phoenicia 13, Copenhagen.

الفهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

الطبعة الأولى / ٢٠١٤م

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة



www.syrbook.gov.sy
E-mail: syrbook.dg@gmail.com
هاتف ٢٣٦١١٦٤
مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب - ٢٠١٤م

سعر النسخة ٥٨٠ ل.س أو ما يعادلها